بحوث في الإعجاز والتفسير
في رسائل النور

بحوث في الإعجاز والتفسير
في رسائل النور

الدكتور احمد خالد شكري

أستاذ مشارك في الدراسات القرآنية
رئيس قسم أصول الدين
كلية الشريعة- الجامعة الأردنية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان، وبعد:

فهذه أربعة بحوث قرآنية أقدمها في كتاب واحد للأخوة القراء بعد أن سبق نشرها في وقائع مؤتمرات وندوات علمية، كنت قد أعددتها للمشاركة بها في تلك المؤتمرات، وكان أول هذه البحوث إعدادا بحث: وجوه إعجاز القرآن الكريم عند النورسي، المقدم إلى المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي، وعنوان المؤتمر: تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين، وبديع الزمان سعيد النورسي الذي عقدته مؤسسة الثقافة والعلوم باستانبول خلال المدة من 24- 1995/9/26م، وقد سعدت حين شاركت في هذا المؤتمر بالتعرف على عدد من الأخوة من تلاميذ الإمام النورسي ومن محبيه وسالكي طريقه في الإصلاح والدعوة، وحاولت في هذا البحث تحديد وجوه إعجاز القرآن الكريم كما يراها النورسي، كما بينت ما جزم به من وجوه الإعجاز، وما لم يجزم به أو توقف عنده أو انفرد به.

أما البحث الثاني في هذا الكتاب فهو: علوم القرآن والتفسير في رسائل النور، وقد قدمته في الحلقة الدراسية عن بديع الزمان سعيد النورسي فكره ودعوته، التي قام بتنظيمها: المعهد العالمي

للفكر الإسلامي، مكتب الأردن، ومركز بحوث رسائل النور في تركيا، والتي عقدت في عمان عاصمة الأردن يوم 1418/2/7هـ الموافق 1997/6/12م، وكان أحد محاورها: منهج النورسي في التعامل مع القرآن الكريم، وقد كنت أثناء قراءتي في رسائل النور أقف متأملاً في عبارات النورسي الرائعة وهو يتحدث عن القرآن، ويعيش في ظلاله، وفي رحابه وأفيائه، وكنت أعيد قراءة بعض العبارات مراراً لأتذوق حلاوتها وجمالها وأتشرب معناها، وأرتوي من عطائها، فلما وجهت لي الدعوة للمشاركة في هذه الحلقة العلمية، سارعت إلى الاستجابة ببالغ السرور وعظيم الرغبة، وأتممت جمع المادة المتعلقة بعلوم القرآن والتفسير في رسائل النور، فكان هذا البحث.

وأما البحث الثالث وعنوانه: حكمة التكرار في القرآن الكريم من خلال رسائل النور، فقد شاركت به في المؤتمر العالمي الرابع عن بديع الزمان، والذي عقد تحت عنوان: نحو فهم عصري للقرآن الكريم رسائل النور أنموذجاً، والذي عقدته مؤسسة الثقافة والعلوم باستانبول بتركيا في الفترة 20-1998/9/22م، وقد بينت في هذا البحث تعريف التكرار، وتتبعت فيه حديث النورسي عن التكرار في رسائله وعن الحكمة من وجوده في القرآن، كما بينت الحكمة من التكرار في عدد من الآيات الكريمة وفق ما ذكره النورسي في أماكن عديدة من رسائله.

أما البحث الرابع فعنوانه: الإعجاز النفسي في القرآن الكريم معناه وأدلته ومنـزلته بين أوجه الإعجاز، وقد شاركت به في المؤتمر العلمي الثالث: الإعجاز في القرآن الكريم، والذي عقدته كلية التربية الحكومية سابقاً، جامعة الأقصى حالياً، في غزة بفلسطين في الفترة من 15-2000/5/17م، وبينت فيه أن النورسي كان له إلماحات وإشارات إلى الإعجاز النفسي في رسائله، وأنه كان يراه أحد ثلاثة أسس تشكل بمجموعها سرا من أسرار الإعجاز المعنوية، كما بينت فيه معنى الإعجاز النفسي، وأدلته من الكتاب والسنة وأوردت عدداً من الحوادث التي تدل على عظيم تأثير القرآن الكريم في نفوس قارئيه وسامعيه، ثم بينت منـزلة الإعجاز النفسي وموقعه بين وجوه الإعجاز.

وفي ختام هذه المقدمة أتوجه بالشكر إلى الأخوة القائمين على مركز رسائل النور على جهدهم الطيب في نشر فكر الإمام النورسي وتراثه وعلمه، وأخص بالذكر منهم الأستاذ إحسان قاسم الصالحي الذي ترجم رسائل النور إلى العربية وتوج جهده بمتابعة إخراجها في ثوب لائق ومجلدات زاهية.

والله تعالى أسأل أن يوفقنا لما يحب من العمل الصالح الرشيد وأن يتقبله منا إنه هو السميع العليم.

وجوه إعجاز القرآن الكريم

عند النورسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد.

فإن القرآن العظيم بحر زاخر، مليء بأصناف اللآلئ والجواهر، وانك كلما تعمقت في دراسته وبحثه ظهر لك من لطائفه وأسراره ما لم تكن تعلم ولست بقانع بما أخذت ولا ببالغ غاية ما وجدت.

ومن هنا كثرت المصنفات حول القرآن الكريم وتعددت مجالات بحثها وأساليب مؤلفيها. وكان من العلماء الباحثين في القرآن: بديع الزمان سعيد النورسي الذي أفرغ من جهده ووقته الكثير الكثير وهو يتأمل في آيات كتاب الله تعالى ويتدبر في معانيها، ويقلب النظر في وجوه إعجاز القرآن الكريم، ويستنبط من لطيف المعاني وعظيم الإرشادات، ويصوغ ما يظهر له من كنوز بقلمه السيال، وعباراته العميقة الدقيقة، وأسلوبه السهل

الممتنع، فكانت (رسائل النور) نوراً يهتدي به الحائرون ويزداد به المتقون نوراً على نور، فجزاه الله عنا خير الجزاء وجعل ذلك نوراً له وذخراً وأجراً.

وإني عندما عزمت على الكتابة عن وجوه إعجاز القرآن عند النورسي وجدتني اقف أمام طود شامخ، وعلم من أعلام العلم راسخ، وكان لابد من التشمير والبحث والسعي بجد والاطلاع بعمق علي آرائه وأقواله وتكرار مطالعتها مراراً حتى تنضح تماماً ويظهر مراده منها، وكان ثمرة ذلك هذا البحث الذي تقدمت به إلى المؤتمر العالمي عن بديع الزمان سعيد النورسي، والذي عقد في مدينة استانبول بتنظيم ورعاية : مؤسسة الثقافة والعلوم.

وقد جعلت البحث في مبحثين، خصصت الأول منهما للحديث عن وجوه الإعجاز التي جزم بها النورسي، وخصصت الثاني للحديث عن وجوه الإعجاز التي توقف فيها النورسي أو انفرد بها.

والله اسأل أن يتقبل منا صالح العمل وان يوفقنا للمزيد منه وان يرحم إمامنا النورسي وسائر أئمتنا، والله ولي التوفيق.

المبحث الأول
وجوه إعجاز القرآن الكريم التي جزم بها النورسي

يجد القارئ في مؤلفات الإمام سعيد النورسي كتابات متفرقة حول إعجاز القرآن، إلا أن حديثه عن الإعجاز في رسالة: "المعجزات القرآنية"، و"إشارات الإعجاز" أكثر وأوضح وأشمل من غيرهما من رسائله.

كما يجد القارئ في رسائل النورسي أنه قد جزم بعدد من وجوه الإعجاز، ولم يجزم بها أو ببعضها، وبالجمع بين عباراته المتفرقة حول الإعجاز، يمكن تحديد وجوه الإعجاز التي جزم بها، والتي تم تخصيص هذا المبحث لبيانها.

إلا أن القارئ يقع في حيرة بالغة حين يبحث في تحديد عدد وجوه الإعجاز عند النورسي إذ يجده يقرر في عدد من المواضع أنها أربعون وجهاً، ويذكر في مواضع أخرى أنها سبعة أوجه، بينما يصل العدد إلى مئتي وجه أو مئات الوجوه في بعض العبارات، فما هو مراد النورسي بهذه الأعداد، وهل هو اضطراب منه في تحديد عدد وجوه الإعجاز، أو انه كان يرى عددا معيناً في السابق ثم عدل عنه إلى غيره، أو أن له طريقة معينة يمكن بها الجمع بين هذه الأعداد. ولحل هذا الإشكال قمت بتتبع العبارات التي ذُكرتْ فيها هذه الأعداد، حيث يمكن بالتأمل

فيها الخروج بنتيجة واضحة، وقد رأيت إيراد هذه العبارات أولاً، ليتم بعد ذلك التوصل إلى فهمها وتعيين مراد النورسي بهذه الأعداد:-

- قال في "إشارات الإعجاز: (إذ التنـزيل المصدق إعجازه بسبعة أوجه في ثلاثة عشر عصراً دعواه عين برهانها...) [1]

- وقال في ذيل رسالة "المعجزات القرآنية": (.... وعجزهم عجزاً تاماً أمام وجه واحد - وهو الوجه البلاغي - من بين وجوه الإعجاز السبعة الكبرى للقرآن..) [2]

- وقال فيه: (ولقد وضحت رسائل النور ولا سيما الكلمة الخامسة والعشرون "المعجزات القرآنية" مع ذيولها إعجاز القرآن في أربعين وجهاً من وجوهها، وكذلك تفسير "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" باللغة العربية الذي يبين بياناً رائعا إعجاز القرآن من حيث وجه النظم بين الآيات الكريمة....) [3]

- وقال في اللمعة السابعة: (فالإخبار الغيبي الذي هو أحد أنواع إعجاز القرآن له لمعات إعجازية كثيرة وكثيرة لا تعد ولا تحصى، لذا فان حصر أهل الظاهر تلك الإخبارات الغيبية في

---

1 إشارات الإعجاز، بتحقيق: إحسان قاسم الصالحي "وكذا سائر الرسائل بتحقيقه وترجمته" ط الأولى - بغداد 1409 هـ /1989 ، ص 81.

2 الكلمات، الطبعة الثانية 1412هـ / 1992 م دار سوزلر - القاهرة / ص 522.

3 الكلمات، ص 531.

أربعين أو خمسين آية فقط إنما هو ناشئ من نظر ظاهري سطحي بينما في الحقيقة هناك ما يربو على الألف منها بل قد تكون في آية واحدة فقط أربعة أو خمسة إخبار غيبية).[4]

- وقال في المكتوب التاسع والعشرين: (لقد كتب هذا القسم لاستشارة إخواني في خدمة القرآن، وليكون تنبيهاً لي لإنقاذ ما كنت أحمل من نية مهمة حول كتابة مصحف شريف يظهر فيه نقش إعجازي وهو قسم من مئتي قسم من أقسام إعجاز القرآن الكريم..).[5]

- وقال فيه: (لقد اثبت في الكلمة الخامسة والعشرين المسماة بالمعجزات القرآنية بالبراهين القاطعة أن أنواع إعجاز القرآن الكريم تبلغ أربعين نوعاً وقد بين بعض أنواعه مفصلاً حتى إزاء المعاندين، بينما ظلت أنواع أخرى بصورة مجملة).[6]

- وقال فيه : (والآن بعد أن توضح سر تلك الحكمة اقتنعنا قناعة كاملة بان تأخيره كان هو الأولى، ولتيسير فهم تلك الطبقة وتسهيلاً لهم ليتذوقوا نوع الإعجاز للقرآن، استكتبنا مصحفاً شريفاً يبين ذلك الوجه من الوجوه الأربعين للإعجاز).[7]

وقال في المكتوب التاسع عشر: (إن اعظم معجزة من

---

4 اللمعات، ط دار سوزلر بالقاهرة، ص 49.

5 المكتوبات، ط دار سوزلر بالقاهرة، ص 522.

6 المكتوبات، ص 522.

7 المكتوبات، ص 523.

معجزات الرسول الأكرم ρ هو القرآن الكريم الذي يضم مئات دلائل النبوة، وقد ثبت إعجازه بأربعين وجهاً كما في الكلمة الخامسة والعشرين....).[8]

- وقال فيه: (كون القرآن الذي بيده ρ معجزاً من سبعة اوجه، ذلك الأمر الصادر من مالك الكون الذي يسلم به ويصدقه اكثر من ثلاث مئة مليون من البشر في كل عصر، ولما كانت الكلمة الخامسة والعشرون أي رسالة المعجزات القرآنية وهي شمس رسائل النور قد أثبتت بدلائل قوية أن هذا القرآن الكريم معجز من أربعين وجهاً وانه كلام رب العالمين...).[9]

بعد الاطلاع على هذه العبارات من رسائل النور، نجد أن النص الذي يذكر لمعات إعجازية كثيرة لا تعد ولا تحصى يوضح أن هذه اللمعات كلها تندرج تحت نوع واحد من أنواع إعجاز القرآن وهو: الإخبار الغيبي.

ويظهر من النص الذي يذكر أنها مئتا قسم أنها أقسام فرعية من ضمن أوجه إعجاز القرآن العامة.

تبقى بعد ذلك النصوص التي تذكر أنها سبعة أوجه وأنها أربعون وجهاً ، وبالتأمل في هذه العبارات نجد أنها تحيل في بيان الأوجه الأربعين إلى رسالة المعجزات القرآنية التي تم فيها

---

8 المكتوبات، ص 238.

9 المكتوبات، ص 281.

ذكر هذه الأوجه وتفصيلها. ويتبين لمن يطلع على هذه الرسالة أن النورسي كان يذكر أحد أوجه إعجاز القرآن بإجمال ثم يبينه من خلال الجزئيات المندرجة تحته. وبهذا يتبين لنا أن مراد النورسي بالأوجه السبعة للإعجاز: الأوجه العامة أو الرئيسية، وبالوجوه الأربعين: التفصيلية الدقيقة أو الفرعية المندرجة تحت الأوجه العامة.

وبهذا يتبين مراد النورسي في عدد وجوه إعجاز القرآن، وسأقوم في هذا المبحث بمحاولة تحديد الوجوه السبعة الكبرى أو العامة لإعجاز القرآن الكريم - كما يراها النورسي- حيث بينها بإجمال، بعد محاولة إزالة التداخل[10] والتكرار بينها، مع ملاحظة أن عدداً مما ذكره النورسي على أنه من وجوه الإعجاز هو في الحقيقة نتيجة وثمرة لما سبق تقريره من وجوه الإعجاز، وسأتبع هذا المبحث بجدول يبين وجوه الإعجاز المذكورة في رسالة: "المعجزات القرآنية".

1- نظم القرآن: يرى النورسي أن النظم القرآني هو الوجه الأول والأظهر من وجوه إعجاز القرآن الكريم. ولإظهاره وبيانه وضع رسالته القيمة: "إشارات الإعجاز" حيث قام بتفسير الآيات التي تعرض لتفسيرها بما يظهر هذا الوجه من إعجاز القرآن وكان منهجه فيه: البدء بمقدمة يجعلها مدخلاً لتفسير الآية أو

10 الكلمات، ص 880.

الآيات وقد يتركها أحياناً، ثم يبين بعد التفسير نظم الآية مع ما قبلها وما بعدها ثم نظم الجمل في الآية ثم نظم الكلمات والحروف في الجملة، كما أشار في ثنايا هذا الكتاب إلى هذا الوجه مراراً، فمن ذلك قوله: (إن مقصدنا من هذه الإشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن لان الإعجاز يتجلى من نظمه وما الإعجاز الزاهر إلاّ نقش النظم).[11] وقوله: (اعلم أن أساس إعجاز القرآن الكريم في بلاغة نظمه، وبلاغة النظم على قسمين: قسم كالحلية، وقسم كالحلة ..) [12]وقوله: (وأدق وجوه إعجاز القرآن الكريم ما في بلاغة نظمه)[13]. ولذا قال الدكتور محسن عبد الحميد في تقديمه لكتاب الإشارات (وكأني بالأستاذ النورسي درس نظرية النظم هذه دراسة متقنة، ثم ظهر له أن المفسرين الذين سبقوه كالزمخشري والرازي وأبى السعود لم يحاولوا تطبيقها من حيث هي منظومة متكاملة تشمل ترتيب السور والآيات والألفاظ، سورة بعد سورة، وآية بعد آية ولفظاً بعد لفظ، بتفاصيلها الكاملة، فأراد أن يقتدي بهؤلاء المفسرين العظام فيؤلف تفسيراً يطبق فيه نظرية النظم تطبيقاً تفصيلياً شاملاً من حيث المباني والمعاني، ومن حيث المعارف اللغوية والعقلية والذوقية، الكلية منها والجزئية، والتي اعتمد عليها في

11 إشارات الإعجاز، ص 29.

12 إشارات الإعجاز، ص 141.

13 إشارات الإعجاز، ص 226.

الكشف عن تفاصيل المنظومة القرآنية التي بها يظهر الإعجاز، وتتكشف دقائق خصائص الأسلوب القرآني التي خالفت خصائص التعبير العربي البليغ قبله، والتي حيرت البلغاء، وأخرست الفصحاء، ليحق عليهم التحدي المعجز إلى يوم القيامة).[14]

وبحق، فإن رسالة "إشارات الإعجاز" تعد بحثاً قيماً في إثبات هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن من خلال أمثلة تطبيقية على عدد غير قليل من الآيات مع ملاحظة أن النورسي كتب هذه الرسالة في ظل ظروف صعبة قاسية، أثناء مشاركته في معارك الحرب العالمية الأولى، فكانت رسالة مميزة في أسلوبها ومنهجها وظروف تأليفها.

2- الإيجاز: يرى النورسي أن الإيجاز هو الوجه الثاني من وجوه الإعجاز القرآني بعد النظم وقد ذكر ذلك في اكثر من موضع، منها مثلاً قوله: (إن أهم أساس في إعجاز القرآن المبين هو الإيجاز بعد بلاغته الفائقة، فالإيجاز أهم أساس لإعجاز القرآن وأقواه فهذا الإيجاز المعجز في القرآن الكريم كثير ولطيف جداً في الوقت نفسه بحيث ينبهر أمامه أهل العلم والتدقيق).[15] ثم أورد عدة أمثلة من الإيجاز في عدد من

---

14 إشارات الإعجاز، ص 5.

15 المكتوبات، ص 407.

الآيات.[16]

3- فصاحة ألفاظ القرآن الكريم وجامعيتها: ذكر النورسي الفصاحة في اكثر من موضع كما ذكر الجامعية في لفظ القرآن ومعانيه وعلومه ومباحثه وأسلوبه، وقد ضممت الجامعية في اللفظ إلى الفصاحة، لما بينهما من تداخل وتقارب، وللنورسي عبارات متعددة يبين فيها هذا الوجه من الإعجاز من خلال فصاحة ألفاظه وان لكل كلمة بل لكل حرف بل حتى لسكوت أحياناً وجوهاً كثيرة جداً.[17] وذكر لذلك عدداً من الأمثلة.[18]

4- الأسلوب البديع: أشار النورسي إلى أن البداعة الخارقة في أسلوب القرآن الكريم تعد أحد وجوه إعجازه. فـ (أساليب القرآن الكريم غريبة وبديعة كما هي عجيبة ومقنعة، لم يقلد أحداً قط ولا يستطيع أحد أن يقلده فلقد حافظ وما يزال على طراوة أساليبه وشبابيته وغرابته مثلما نـزل أول مرة).[19]

5- براعة البيان: فبيان القرآن الكريم في أعلى مراتب طبقات الخطاب، وقد اشتملت رسالة "المعجزات القرآنية" على عدد من الأمثلة التي تبين هذا الوجه.[20]

6- بلاغة المعنى: ذكر النورسي هذا الوجه من وجوه

---

16 المكتوبات، ص 408 و 409 و انظر الكلمات ، ص 460 – 465.

17 الكلمات، ص 451.

18 الكلمات، ص 437 و 452 – 456.

19 الكلمات، ص 431.

20 الكلمات، ص 439 و 457.

الإعجاز في أماكن عديدة من رسائله بما يفيد جزمه به على انه أحد وجوه الإعجاز.[21]

7- العلوم والمعارف المذكورة فيه: يندرج تحت هذا الوجه عدد من الأمور، فمن وجوه إعجاز القرآن الكريم احتواؤه على إشارات مجملة تتعلق بحقائق علمية، ما زالت تتكشف وتظهر من خلال التقدم البشري.

وقد لفت الأستاذ النورسي الأنظار إلى أن معجزات الأنبياء السابقين المذكورة في القرآن الكريم يمكن أن تؤخذ منها إشارات ومفاتيح تشوق البشر وتشجعهم على العمل للوصول إلى أشباهها، (كأن القرآن بتلك القصص يضع إصبعه على الخطوط الأساسية ونظائر نتائج نهايات مساعي البشر للترقي في الاستقبال الذي يبنى على مؤسسات الماضي الذي هو مرآة المستقبل، وكأن القرآن يمسح ظهر البشر بيد التشويق والتشجيع قائلاً له: اسع واجتهد في الوسائل التي توصلك إلى بعض تلك الخوارق).[22]

(فمثلاً : (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) (سبأ: 12) هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا سليمان عليه السلام، وهي تسخير الريح له، أي انه قد قطع في الهواء ما

---

21 انظر الكلمات، ص 439 و 457.

22 إشارات الإعجاز، ص 302.

يُقطع في شهرين في يوم واحد، فالآية تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر لقطع مثل هذه المسافة في الهواء. فيا أيها الإنسان، حاول أن تبلغ هذه المرتبة، واسع للدنو من هذه المنـزلة ما دام الطريق ممهداً أمامك، فكأن الله سبحانه وتعالى يقول في معنى هذه الآية الكريمة: إن عبداً من عبادي ترك هوى نفسه، فحملته فوق متون الهواء، وأنت أيها الإنسان؛ إن نبذت كسل النفس وتركته، واستفدت جيداً من قوانين سنتي الجارية في الكون، يمكنك أيضاً أن تمتطي صهوة الهواء)[23].

ويظهر للقارئ من خلال كلام النورسي في هذا الموضوع قناعته التامة به، ضمن كلام لطيف طيب [24]، لم يُسبق إليه - فيما أعلم - .

ومما يندرج تحت هذا الوجه: إخبار القرآن عن الغيوب، حيث نجد الآيات تخبرنا عن عدد من الأمور الغيبية، التي ليس في مقدور البشر الوصول إليها ومعرفتها بجهدهم البشري، ومنها: غيب الماضي، وغيب المستقبل - بأنواعه الكثيرة-والغيب المتعلق بالحقائق الإلهية والحقائق الكونية والأمور الأخروية.[25]

ويشير النورسي إلى كثرة ما يتعلق بالإخبار عن الغيب في الآيات القرآنية في قوله: (فالإخبار الغيبي الذي هو أحد أنواع إعجاز القرآن له لمعات إعجازية كثيرة وكثيرة لا تعد ولا

---

23 الكلمات ، ص 280.

24 انظر :إشارات الإعجاز 301 - 304 والكلمات 277 – 296.

25 انظر : الكلمات ، ص 468 – 471.

تحصى، لذا فان حصر أهل الظاهر تلك الإخباريات الغيبية في أربعين أو خمسين آية فقط إنما هو ناشئ من نظر ظاهري سطحي بينما في الحقيقة هناك ما يربو على الألف منها، بل قد تكون في آية واحدة فقط أربعة أو خمسة إخبار غيبية)[26].

وتحدث النورسي عن وجوه أخرى للإعجاز يمكن أن تدرج ضمن هذه الوجوه، ومنها ما هو نتيجة لهذه الوجوه أو ثمرة لها، ويبين الجدول التالي وجوه الإعجاز المذكورة في رسالة "المعجزات القرآنية".

المبحث الثاني
اوجه الإعجاز التي لم يجزم بها النورسي أو توقف عندها أو انفرد بها

يهدف هذا المبحث إلى بيان أوجه الإعجاز التي لم يجزم بها النورسي في عدها من وجوه إعجاز القرآن الكريم، أو اختلف كلامه عنها من موضع لآخر، أو انفرد بها، وفيما يلي بيانها:

1- تعرض النورسي للحديث عن "الصرفة" - وهي أحد وجوه إعجاز القرآن عند جماعة من المؤلفين. أو وجه الإعجاز

---

26 ذكره الإمام النورسي في مواضع متفرقة كثيرة، ينظر على سبيل المثال: ص40و49 من اللمعات.

الوحيد عند بعضهم -[27]. في رسالة "المعجزات الاحمدية" أثناء رده على أحد الأسئلة بقوله: "هناك مذهبان في بيان إعجاز القرآن:

(المذهب الأول: وهو الغالب والراجح وهو مذهب الأكثرية من العلماء وهو أن لطائف بلاغة القرآن ومزايا معانيه هي فوق طاقة البشر.

أما المذهب الثاني: وهو المرجوح فهو أن معارضة سورة واحدة من القرآن ضمن طاقة البشر إلاّ أن الله سبحانه قد منعها عن الخلق ليكون معجزة الرسول ρ. ويمكن أن يوضح هذا بمثال: إن قيام الإنسان وقعوده ضمن قدرته ونطاق استطاعته، فإن قال نبي كريم لشخص ما: لا استطعت من القيام إظهاراً للمعجزة ولم يستطع الشخص من القيام فعلاً فقد وقعت المعجزة.

يطلق على هذا المذهب المرجوح: مذهب الصرفة، أي أن الله سبحانه هو الذي صرف الجن والإنس عن القدرة على المعارضة فلو لم يصرفهم الله سبحانه عن الإتيان بالمثل لكان الجن والإنس بمقدورهم الإتيان بمثله).[28]

إن من يقرأ هذا النص يجد أن النورسي لم يجزم برد المذهب الثاني وإنكاره، بل عدّه وجهاً مرجوحاً فقط. كما علق عليه

---

27 انظر: فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر لنعيم الحمصي "ط- مؤسسة الرسالة" ص 54 و 55 و 63 و 70 و 86 و 137 و 166 و 198.

28 المكتوبات، ص 245 و 246.

بعبارات حيث قال: "وهكذا فالعلماء الذين يقولون وفق هذا المبحث " لا يمكن معارضة القرآن حتى بكلمة واحدة" هو كلام حق لا مراء فيه؛ لأن الله سبحانه قد منعهم عن ذلك إظهارًا للإعجاز، فلا يستطيعون إذن أن يتفوهوا بشيء للمعارضة، ولو أرادوا قول شيء ما للمعارضة فلا يقدرون عليه من غير إرادة الله ومشيئته).[29] ويظهر من هذه العبارة تعليل عدم قدرة الخلق على الإتيان بمثل القرآن بالمنع عن ذلك.

وبهذا نرى أن النورسي لم يجزم بهذا الوجه من وجوه الإعجاز، حيث قرر أنه يراه مذهبا مرجوحاً.

2- أشار النورسي في اكثر من موضع إلى قضية "تناسق الألفاظ في_القرآن الكريم، ولم يجزم بجعله أحد وجوه الإعجاز، وإن ظهر من كلامه إعجابه به، وقناعته بأنه من وجوه الإعجاز، ولعله شعر بعدم كفاية الأدلة التي ذكرها والمسوغات التي ارتآها فلم يجزم به.

وقال بعد ذلك: (لقد كتب هذا القسم لاستشارة إخواني في خدمة القرآن، وليكون تنبيهاً لي، لإنفاذ ما كنت أحمل من نية مهمة حول كتابة مصحف شريف يظهر فيه نقش إعجازي؛ وهو قسم من مئتي قسم من أقسام إعجاز القرآن الكريم فعرضت لهم تلك النية لمعرفة آرائهم حول كتابة ذلك المصحف الشريف الذي

---

29 المكتوبات، ص 246.

يبين النقش الإعجازي مع الاعتماد على المصحف المكتوب بخط الحافظ عثمان واتخاذ آية المداينة وحدة قياس لطول الصفحة وسورة الإخلاص لطول السطر).[30]

وكان قبل ذلك قد جزم بهذا الوجه من وجوه الإعجاز وذكر له أمثلة، وذلك في رسالة "المعجزات الاحمدية" حيث قال: (نحصل مما سبق: أن القرآن الكريم لا يدع أحداً محروماً من تذوق إعجازه، فلكل طبقة من أربعين طبقة من الطبقات المتباينة للناس لهم حظهم من هذا الإعجاز أو يشعرهم القرآن بإعجازه، حتى انه يبين نوعاً من إعجازه لأولئك الذين ليس لهم نصيب من العلم ولا يملكون سوى الرؤية من دون القدرة على الاستماع أو الفهم أو الإدراك القلبي، وذلك كالآتي: إن كلمات المصحف المطبوع بخط "الحافظ عثمان" تتقابل وينظر بعضها إلى بعض، فمثلاً : إن كلمة "وثامنهم كلبهم" التي هي في سورة الكهف تناظر كلمة: "قطمير" التي هي في سورة فاطر، فلو ثقبت الصفحات ابتداءً من الكلمة الأولى، لتبينت الكلمة الثانية بانحراف يسير ولفهم اسم الكلب، وكذا كلمة "محضرون" المكررة مرتين في سورة يس ، نرى إحداهما فوق الأخرى، وهما يقابلان كلمة "محضرون"، و"محضرين" التي في آخر سورة الصافات، فإذا ما ثقبت إحداها لظهرت من خلال

---

30 المكتوبات، ص 522.

الصفحات الكلمة نفسها مع انحراف قليل، وكذا كلمة "مثنى" التي هي في آخر سورة سبأ تنظر إلى الكلمة نفسها التي هي في مستهل سورة فاطر، ففي القرآن تتكرر كلمة "مثنى" ثلاث مرات، وتناظر اثنتين منها ليس موضع المصادفة قطعاً.

ولهذا النوع من التناظر والتقابل أمثلة كثيرة جداً في المصحف الشريف، حتى أن الكلمة الواحدة تتكرر في ما يقرب من ست مواضع، فإذا أوصل بينها بثقب لتراءت الأخريات بانحراف يسير.

ولقد شاهدت مصحفاً خطت الجمل المتناظرة في كل صحائفه المتقابلة بخط احمر، فقلت آنذاك : هذه الأوضاع إنما هي امارات لنوع من الإعجاز، ثم بعد ذلك أخذت انظر إلى جمل القرآن الكريم فرأيت أن كثيراً منها تتناظر من خلال الصفحات تناظراً ينم عن معنى دقيق.

ولما كان ترتيب القرآن المتداول توقيفياً بإرشاد من الرسول ρ، وقد خطه خطاطون ملهمون، فإن في نقشه البديع وفي خطه الجميل إشارة إلى نوع من علامات الإعجاز، وذلك لان هذا الوضع لا يمكن أن يكون مصادفة ولا نابعاً من نتاج فكر إنسان، فلولا قصور الطبع لطابقت الكلمات المتناظرة مطابقة تامة.

ثم إننا نرى أن في السور المدنية المطولة والمتوسطة تكراراً بديعاً منسقاً للفظ الجلالة "الله" فهو في الغالب يتكرر بأعداد معينة، إما خمس أو ست أو سبع أو ثمان أو تسع مرات، أو

إحدى عشرة مرة، فضلاً عن انه يبين مناسبة عددية لطيفة على وجهي ورقة المصحف المتقابلتين).[31]

ففي هذا الموضع يؤكد النورسي هذا الوجه، ويمثل له، ويظهر من خلال حديثه عنه إعجابه به وجزمه بأنه أحد وجوه إعجاز القرآن، إلا أن ما أورده في هذا النص عليه ملحوظات عديدة، منها:

أ- ورد لفظ "محضرون " في سورة يس في ثلاثة مواضع "في الآيات 32،53،75" لا في موضعين.

ب- اختلف في اسم كلب أهل الكهف على أربعة أقوال [32] ، أحدها : قطمير. فلا يجزم به.

ج- رجعت إلى عدد من ألفاظ القرآن الكريم الواردة في نحو ستة مواضع، وهي ألفاظ "أيان"، و"الزبر" وقد وردتا في ستة مواضع، و"زكريا" في سبعة مواضع، و"سعى " في خمسة مواضع ، وقابلت بين مواضع كل منها على مثيل نسخة المصحف التي اعتمدها النورسي وهي نسخة "الحافظ عثمان"[33]، فوجدت في عدد منها شيئاً من التوافق الذي أشار إليه بين

---

31 المكتوبات، ص 240 - 242، وقد راجعت جملة "وتناظر اثنتان.." مع النسخة الأخرى من رسالة المعجزات الأحمدية والمطبوعة منفردة فوجدتها كذلك، فلعله سهو من الكاتب أو على لغة من يلزم المثنى الألف.

32 انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي "طـ المكتب الإسلامي" 126/5.

33 له ترجمة في هامش ص 522 من المكتوبات.

مواضعها في الصفحات، وفي عدد آخر منها لا يظهر أي توافق.

د- كما رجعت إلى عدد من الصفحات من أجل ما ذكره أخيراً عن التوافق في لفظ الجلالة في السور المدنية المطولة والمتوسطة، وعددت مرات تكرر لفظ الجلالة في كل صفحة منها، وفي الصفحات المتقابلة، وكانت النتيجة كالتالي:

السورة	رقم الصفحة	عدد مرات لفظ الجلالة	رقم الصفحة المقابلة	عدد مرات لفظ الجلالة
النساء	77	4	78	4
النساء	79	5	80	6
النساء	81	1	82	6
النساء	83	7	84	6
النساء	85	6	86	9
النساء	87	10	88	6
النساء	89	9	90	7
النساء	91	11	92	8
النساء	93	7	94	10
محمد	507	7	508	4
محمد	509	6	510	10

وقد لوحظ من خلال هذا عدم التطابق مع ما ذكر في الفقرة الأخيرة.

وبناءً على ما سبق من عدم جزم النورسي في إثبات هذا الوجه، ولقدرة الكُتاب والمؤلفين والشعراء على الإتيان بمثله بل وحصول ذلك مع النورسي نفسه في عدد من رسائله، وفي اكثر

من لفظ. ومن اكثر من كاتب[34] لا يُسلم بأن "التناسق اللفظي" يمكن أن يعد وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

3- أشار النورسي إلى قضية "التناسق العددي" بين عدد من ألفاظ القرآن الكريم، وجعل الحديث عنه تابعاً للحديث عن التناسق اللفظي الذي كان يرى فيه "نقشاً إعجازيا" وواحداً من الوجوه الأربعين للإعجاز ".[35]

وقد ذكر في المكتوب التاسع والعشرين أمثلة من التناسق العددي في القرآن الكريم، حيث ذكر: إن لفظ الجلالة "الله" ورد في مجموع القرآن الكريم: ألفين وثمان مئة وست مرات، وورد لفظ "الرحمن" مع ما في البسملة - مئة وتسعاً وخمسين مرة، وورد لفظ "الرحيم" مئتين وعشرين مرة، ولفظ "الغفور" إحدى وستين مرة، وورد لفظ "الرب" ثمان مئة وستاً واربعين مرة، ولفظ "الحكيم" ستاً وثمانين مرة ولفظ "العليم" مئة وستاً وعشرين مرة، ولفظ "القدير" إحدى وثلاثين مرة ، ولفظ "هو" في "لا اله إلا هو" ستاً وعشرين مرة.[36]

ثم ذكر أموراً مبنية على هذه الأرقام مثل: إن مجموع عدد لفظ الجلالة مع عدد ألفاظ "الرحمن والرحيم والعليم" مع عدد لفظ "هو " في "لا اله إلا هو" هو نصف آيات القرآن ايضاً ،

---

34 انظر: المكتوبات، ص 488 – 494.

35 انظر: المكتوبات، ص 523.

36 انظر: المكتوبات ، ص 524.

والفرق أربعة أعداد.[37]

وذكر علاقة بين آيات بعض السور وعدد لفظ الجلالة فيها مثل: "إن عدد لفظ الجلالة "الله" في سورة البقرة مساوٍ لعدد آياتها والفرق أربعة أعداد، وهناك أربعة ألفاظ من "هو" بدلاً عن لفظ "الله" في "لا اله إلا هو" وبها يتم التوافق.

وان عدد لفظ الجلالة "الله" في سورة آل عمران متوافق مع عدد آياتها ويساويها، ولكن لفظ "الله" ورد في مئتين وتسع آيات بينما عدد آيات السورة مئتا آية، فالفرق إذن تسع آيات، ولا تخل الفروق الصغيرة في مثل هذه المزايا الكلامية والنكات البلاغية، إذ تكفي التوافقات التقريبية....[38]

إن الأرقام المذكورة في هذه النصوص غير دقيقة، حيث ورد هنا أن لفظ الجلالة تكرر ألفين وثمان مئة وست مرات، والصواب: ألفين وثمان مئة وعشر مرات، هذا مع حساب عدد مرات وروده في البسملة، حيث أشار النورسي عند ذكر عدد مرات ورود لفظ (الرحمن) إلى انه ادخل البسملة في العدد، مع أن البسملة في أوائل السور ليست من القرآن إلا في سورة الفاتحة ففيها خلاف.[39]

---

37 انظر: المكتوبات، ص 525.

38 انظر: المكتوبات، ص 525.

39 انظر: القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز لرضوان المخلالاتي "ط: المدينة المنورة" ص 161.

أما لفظ "الرحمن" فقد ورد مئة وتسعاً وستين مرة، و"الرحيم " مئتين وسبع مرات، و"الغفور" إحدى وتسعين مرة، و"الرب" تسع مئة وإحدى وسبعين مرة، و"الحكيم" سبعاً وتسعين مرة، و"العليم" مئة واثنتين وستين مرة، و"القدير" خمساً وأربعين مرة، أما عدد مرات لفظ "هو" فصحيح.

أما عدد مرات ورود لفظ الجلالة في سورة البقرة وهو مئتان واثنتتان وثمانون فصحيح، ولكن لفظ "هو" في "لا اله إلا هو" لم يرد في سورة البقرة إلا مرتين، وورد لفظ "هو" مراداً به الله سبحانه في ست مرات أخرى ، وعليه فالعدد المذكور في النص غير دقيق.

كما انه قد تم حساب عدد هذه المرات بناءً على عد آى السور وفق ما ذهب إليه علماء العدد الكوفيين، وعدم النظر إلى عدد الآي عند بقية علماء العدد.[40]

وهناك أرقام أخرى ذكرت في غير هذا النص غير صحيحة ايضاً، منها أن عدد مرات ورود لفظ "القرآن" تسع وستون مرة [41] والصواب ثمان وخمسون وان عدد آيات القرآن الكريم ستة آلاف وست مئة وست وستون[42]، والصواب: ستة آلاف ومئتان

---

40 انظر: في عدد آيات سورة البقرة والاختلاف فيها : القول الوجيز، ص 164

41 انظر المكتوبات ، ص 524

42 انظر : الكلمات ، ص 518، والمكتوبات هامش ص 524. ذلك لأن عدد الآيات هنا حسب مضمون الآيات وهي: (ستة آلاف وستمائة وست وستون):
ألفٌ آية أمر، كقوله تعالى "**وأقيموا الصلاة**"

وست وثلاثون، وهذا على حسب العدد الكوفي وهو المعتمد في المصاحف المطبوعة، كما أن عدد الآيات عند علماء العدد الآخرين لم يقع قريباً ولا مشابهاً للعدد المذكور.[43]

وبناء ً على ما سبق من عدم جزم النورسي في إثبات هذا الوجه ، وعدم دقة الأرقام المذكورة فيه، ووجود فروق ولو يسيرة بينها، ووقوع أمثاله في كلام البشر، كما حصل في عدد من رسائل النورسي[44] فإن هذا الأمر لا يرقى إلى أن يعد أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم. ومما يجدر ذكره هنا أن عدداً من الباحثين يعدون التناسق العددي أحد وجوه الإعجاز [45] ولا يخلو

وألفٌ آية نهي، كقوله تعالى **"ولا تقربوا الزنا"**.

وألفٌ آية وعد، كقوله تعالى **"ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما"**.

وألفٌ وعيد، كقوله تعالى **"ومن يقتل مؤمناً متعمدا فجزآؤه جهنم"** الآية.

وألفٌ خبر، كقوله تعالى **"واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا"** الآية.

وألفٌ قصص، كقصة يوسف عليه السلام مع اخوته.

وستمائة فيها أحكام من حلال وحرام.

وست وستون ناسخ ومنسوخ.

رواه ابن خزيمة في كتابه" الناسخ والمنسوخ". وانظر حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ص4. وكذلك تفسير أبدع البيان لجميع آي القرآن للشيخ محمد بدر الدين التلوي ص 3 دار النيل – ازمير 1992. المراجع.

43 انظر: القول الوجيز 101- 104.

44 انظر : المكتوبات، ص 489، واللمعات ص 223 و 224.

45 مثل : محمد رشاد خليفة في رسالته "عليها تسعة عشر" ، وعبد الرزاق نوفل في كتابه "معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم "، وصدقي البيك في كتابه "معجزة القرآن العددية"، وبسام جرار في كتابه "إعجاز الرقم 19 في القرآن الكريم مقدمات تنتظر النتائج" وغيرهم، وانظر ما ذكره د. صلاح الخالدي عن هذا الأمر في كتابه " البيان في إعجاز القرآن" ص 355 - 377.

كثير مما يذكرونه من ملحوظات.

4- أشار النورسي إشارة موجزة في هامش إحدى صفحات رسالة المعجزات الاحمدية إلى أحد وجوه الإعجاز، أو كما عبر عنه "سر من أسرار الإعجاز المعنوية" حيث قال: إن سراً من أسرار إعجاز القرآن الكريم المعنوية هو: أن القرآن يبين الدرجة العظيمة والساطعة لإيمان الرسول الأعظم ρ الذي حظي بتجلي الاسم الأعظم، وكذا يبين ويعلم بأسلوب فطري - كخارطة مقدسة مشهورة - تلك المرتبة السامية للدين الحق العظيم والواسع، والمبين للحقائق الرفيعة لعالم الآخرة وعالم الربوبية، وكذا يمثل القرآن الكريم: خطاب رب العالمين وهو في علياء عزته وعظمته وربوبيته المطلقة، فلا بد أن تعبيراً فرقانياً بهذا الأسلوب، وبياناً قرآنياً بهذا النمط لا يمكن أن تأتي مثله عقول البشر قاطبة ولو اجتمعت في عقل واحد بمثل ما عبر القرآن الكريم: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (سورة الإسراء : 88) لأنه لا يمكن من حيث هذه الأسس الثلاثة أن يقلد القرآن ولا أن يأتي بمثله أحدٌ ابداً.[46]

إن الأساس الثالث الذي ذكره النورسي في هذا النص وهو: أن القرآن الكريم يمثل خطاب رب العالمين وهو في علياء عزته وعظمته وربوبيته المطلقة، ذكره عدد من العلماء على انه أحد وجوه الإعجاز وقد أشار إليه الخطابي من المتقدمين، ودراز

---

46 المكتوبات، ص 242 ، هامش 2

وسيد قطب والبوطي وغيرهم من المتأخرين.[47]

إن حديث النورسي عن هذا الوجه من الإعجاز كان في غاية الاختصار، وعلى أنه أحد ثلاثة أسس تشكل بمجموعها سراً من أسرار الإعجاز المعنوية. وهو وجه حري بالدراسة والتأمل، والتبيين والتوضيح والتوسع في الحديث عنه، والله اعلم.

من نتائج البحث

1- أن بديع الزمان سعيد النورسي كان من علماء الإعجاز المميزين، وله جهود طيبة عظيمة في بيان إعجاز القرآن الكريم، وقد احسن في صياغة أفكاره، وترتيب عباراته.

2- إن آراء النورسي وأقواله في الإعجاز لم تلق بعد من العناية والاهتمام والدراسة ما تستحق، خاصة في الدراسات والمؤلفات حول الإعجاز في اللغة العربية.

3- إن بعضاً مما أورده النورسي على أنه من وجوه الإعجاز - وإن لم يجزم به - لا يرقى إلى أن يكون كذلك، كما لم يخل بعض ما أورده حول الإعجاز من تكرار كان يمكن تلافيه.

والله تعالى أعلى واعلم.

---

47 انظر: فكرة إعجاز القرآن، ص 64، 343، 429، وإعجاز القرآن الكريم د. فضل حسن عباس ، ص 345 - 349

مخطط المعجزات

علوم القرآن والتفسير
في رسائل النور

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فلم يكن بديع الزمان سعيد النورسي شخصاً عادياً، بل كان رجلاً متميزاً، "تجسَّد في ذاته جميع ما أطلق عليه من ألفاظ، فهو سعيد اسماً ومعنى، وبديع زمانه جهاداً وتضحية، ونور شعَّ في ظروف تركية الإسلامية حيث هي بأمس الحاجة إلى أنوار عقليته الجبارة وتوجيهاته السديدة"[48].

وقد تعرض النورسي في حياته للكثير من الصعاب والعواصف والحوادث القاسية، فلم يحن لها رأساً ولم يلن أبداً، بل بقي في جميع مراحل حياته شامخاً ثابتاً مطمئناً... ولا أدل على ذلك من مواقفه البطولية وعباراته القوية أمثال: "لو كان لي ألف نفس لما ترددتُ في التضحية بها في سبيل إيماني، وفي

48 من تقديم د.عبد الملك السعدي لرسالة محاكمات عقلية، انظر صيقل الإسلام، ص 11.

سبيل آخرتي..."[49]، "لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من الشعر، وفصل كل يوم واحد منها عن جسدي، فلن أحني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة والكفر المطلق، ولن أتخلى بحال من الأحوال عن هذه الخدمة الإيمانية النورية، ولا يسعني التخلي عنها"[50].

وانتقل رحمه الله من سجن إلى نفي، ومن حرب إلى إقامة جبرية، ومن محاكمة إلى محاولة اغتيال. ومرض طال أمده، وهو في جميع هذه الظروف القاسية مشعل هداية لم يفتر، ومصدر عطاء فياض لم يتوقف، وكان لرسائله القوية أثرها الفعال في أتباعه وقرائها، وكانت بحق رسائل نور أنارت القلوب والأرواح، وكان النورسي بحق رجل القدر الذي تصدى للطغيان، ووقف أمام الظالمين يحذر من عاقبة الظلم والبعد عن دين الله، ويعلن كلمة الحق مدوية بلا وجل ولا تردد، حتى لحق بربه راضياً مرضياً، قرير العين.

أما (رسائل النور) حسنة النورسي الجارية، فقد كانت ساعده الأيمن في نشر دعوته الإصلاحية، وكان تلاميذه يسارعون إلى تلقفها ونسخها وتوزيعها مع ما كانوا يعانون في سبيل ذلك من عقبات وقيود تصل إلى حد الاعتقال لمجرد قراءتها وتوزيعها[51]،

---

49 الشعاعات، ص426

50 الشعاعات، ص410

51 الشعاعات، ص600و 602 و607 و615-618 وغيرها.

ولم يثن ذلك من عزيمتهم شيئاً، مقتبسين من أستاذهم مقتدين به.

وكان إطلاق اسم (النور) على هذه الرسائل في محله، فموضوعاتها مستلهمة من القرآن الكريم الذي وصفه الله تعالى بأنه (نور) في أكثر من آية، منها قوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ **نُورًا** مُّبِينًا)[52].

وكثيراً ما تحدث النورسي عن الصلة بين القرآن الكريم ورسائل النور، مبيناً أن رسائل النور: قطرات من بحر القرآن، ورشحات من لمعاته، وتفسير له، وقبسات من أنواره وحقائقه، وإثبات لإعجازه، فمن ذلك قوله: "إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنـز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته"[53].

ويلحظ القارئ في رسائل النور هذا الأمر بوضوح فالنورسي في رسائله قد يفسر معنى الآية ويوضحه ، أو يعلق على الآية مستلهماً منها غارفاً من معينها، مقتبساً من أنوارها، أو يذكر الآية في افتتاح الرسالة لوجود صلة بينها وبين موضوع الرسالة، فمثلاً أثبت سورة الزلزلة في بداية ذيل الكلمة الرابعة

---

52 النساء، اية 174.

53 الملاحق ص220، وانظر: الكلمات، ص832، والمكتوبات، ص463 و476، والشعاعات، ص95 و180 و214 و225 و470 و503 و684، والمثنوي، ص156.

عشرة؛ لأن موضوع الذيل الزلزال الذي حدث في تلك الأيام، ورغب النورسي أن يعلق على الحدث[54]، وافتتح رسالة الاقتصاد بقوله تعالى: (وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ)[55]، وافتتح المبحث الأول من المكتوب الثاني والعشرين، وهو مبحث يدعو أهل الإيمان إلى الأخوة والمحبة بثلاث آيات فيها الدعوة إلى الأخوة والمحبة[56].

ومثل هذا في رسائل النور كثير، وقد يذكر الآية أو الآيات في افتتاح الرسالة دون وجود صلة بين موضوع الرسالة والآية المذكورة في أولها، وقد تخلو بعض الرسائل من الافتتاح بآية، كما أنه كان يختم رسائله بآية أو آيات لها صلة بما تحدث عنه سابقاً أو تحتوي على دعاء، ومن الآيات التي كان يكثرُ من استعمالها في فواتح رسائله ونهاياتها قوله تعالى: (سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[57]، وقوله: (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ)[58].

---

54 الكلمات، ص195.

55 اللمعات، ص211، وسورة الأعراف الآية: 31.

56 المكتوبات، ص339.

57 البقرة، آية 32، ومن اللطيف أن النورسي كان قد توقف في تفسيره (إشارات الإعجاز) عند بداية هذه الآية.

58 الإسراء، آية 44.

المبحث الأول

علوم القرآن في رسائل النور

يجدُ القارئ في رسائل النور عدداً من مباحث علوم القرآن متفرقة بين ثنايا الرسائل التي ألفها النورسي بقصد الهداية والتذكير والإرشاد وإيقاظ الإيمان في النفوس، فلم يكن هدف الرسائل البحث في جزئيات علوم القرآن أو التفسير، ولكنه كان يذكر ما يلزم المقام أو يستدعي السياق ذكره منها، وفيما يلي مباحث علوم القرآن التي وجدتها في رسائل النور:

1- تعريف القرآن: حين أراد النورسي التعريف بالقرآن لم يذكر التعريف الشائع له. بل اتجه اتجاهاً مميزاً في ذلك، وذكر تعريفاً مطولاً، يفهم القارئ من خلاله إرادة النورسي توضيح مهمة القرآن ومنـزلته العظيمة، ولفت الأنظار إلى محتوياته ووظيفته، وعباراته في هذا التعريف غاية في الدقة والجودة، ولذا سأوردها دون التعليق عليها، قال:

"هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات، والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسّر كتاب العالم، وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات والأرض، وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المسخرة في سطور الحادثات، وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة، وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية

الرحمانية، وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي، وكذا هو خريطة للعالم الأخروي، وكذا هو قول شارح وتفسير واضح وبرهان قاطع وترجمان ساطع لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه، وكذا هو مرب للعالم الإنساني. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية، وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي إلى ما خُلق البشر له، وكذا هو للإنسان كما أنه كتاب شريعة كذلك كتاب رحمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر، وكما أنه كتاب واحد لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية، كذلك هو كمنـزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل، حتى إنه أبرز لمشرب كل واحد من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحد من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين، ومن العرفاء والمحققين رسالة لائقة لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره حتى كأنه مجموعة الرسائل"[59].

2- **فضائل القرآن**: قارن النورسي في عدد من المواضع في رسائله بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة له، بهدف

---

59 المثنوي، ص69 و70، والمكتوبات، ص267، واشارات الإعجاز، ص22، والكلمات، ص274، وفي ص422 بدل الجملة الأخيرة هنا: "حتى كأنه مجموعة الرسائل" جملة: "فهذا الكتاب السماوي أشبه ما يكون بمكتبة مقدسة مشحونة بالكتب".

إظهار معجزته الخالدة وتفوقه وفضله الكبير عليها، واستشهد بنصوص متعددة منها تبشر ببعثة الرسول محمد ρ، ولم يفته التذكير بحصول التحريف فيها[60].كما بين النورسي الفرق الواضح والبون الشاسع بين القرآن الكريم، وبين حكمة الفلاسفة وعباراتهم، وأن القرآن يتفوق على جميع عبارات الحكماء والفلاسفة بل إنه لا مجال للمقارنة بينهما أصلاً، ولكنه أراد أن يقنع قارئ رسائله الذي قد يكون متأثراً بكلام الحكماء والفلاسفة بالفرق الهائل بين "ثروة القرآن الطائلة وغناه الواسع في معرفة الله في ميدان العلم والحكمة، وإفلاس الفلسفة وفقرها المدقع في دروس العبرة والعلم بمعرفة الصانع الجليل"[61].

3- المكي والمدني: تحدث النورسي عن الفرق بين أسلوب وبلاغة الآيات المكية والآيات المدنية، وعن الحكمة منه قائلاً: " أما حكمة اختلاف السور المكية عن المدنية من حيث البلاغة، ومن جهة الإعجاز، ومن حيث التفصيل والإجمال فهي على النحو الآتي:

إن الصف الأول من المخاطبين والمعارضين في مكة كانوا مشركي قريش، وهم أميون لا كتاب لهم، فاقتضت البلاغة أسلوباً عالياً قوياً وإجمالاً معجزاً مقنعاً، وتكراراً يستلزمه التثبيت

60 الكلمات، ص146-148، والمكتوبات، ص220-224، والمثنوي، ص463.

61 الكلمات، ص151، وانظر ص141-150، والمكتوبات، ص268-270، والمثنوي 456-457.

في الأفهام، لذا بحثت أغلب السور المكية أركان الإيمان ومراتب التوحيد بأسلوب في غاية القوة والعلو، وبإيجاز في غاية الإعجاز، وكررت الإيمان بالله والمبدأ والمعاد والآخرة كثيراً، بل قد عبرت عن تلك الأركان الإيمانية في كل صحيفة أو آية، أو في جملة واحدة، أو كلمة واحدة، بل ربما عبرت عنها في حرف واحد، في تقديم وتأخير، في تعريف وتنكير، في حذف وذكر، فأثبتت أركان الإيمان في أمثال تلك الحالات والهيئات البلاغية إثباتاً جعل علماء البلاغة وأئمتها يقفون حيارى مبهورين أمام هذا الأسلوب المعجز.

أما الآيات المدنية وسورها، فالصف الأول من مخاطبيها ومعارضيها كانوا من اليهود والنصارى وهم أهل كتاب مؤمنون بالله، فاقتضت قواعد البلاغة وأساليب الإرشاد وأسس التبليغ أن يكون الخطاب الموجه لأهل الكتاب مطابقاً لواقع حالهم، فجاء بأسلوب سهل واضح سلس، مع بيان وتوضيح في الجزئيات - دون الأصول والأركان (الإيمانية) - لأن تلك الجزئيات هي منشأ الأحكام الفرعية والقوانين الكلية، ومدار الاختلافات في الشرائع والأحكام... لذا فغالباً ما نجد الآيات المدنية واضحة سلسة بأسلوب بياني معجز خاص بالقرآن الكريم..."[62].

---

62 الشعاعات، ص308 و309.

ففي هذا النص مقارنة بين الأسلوبين، وبيان ميزة كل من الآيات المكية والمدنية، ولم يقصد النورسي إجراء مقارنة شاملة بين المكي والمدني من الآيات، إنما اقتصر على أمر واحد هو : الأسلوب والبلاغة ، وقد أجاد في هذه المقارنة.

4- أسباب النـزول: النورسي مقلّ جداً من ذكر أسباب النـزول، بل لم يذكر في رسائله إلا سبب نـزول واحد في رسالة المعجزات الأحمدية، عند ذكره عدداً من الحوادث تدل على معجزة عصمة الله تعالى لرسوله ρ، وحفظه له من الناس مصداقاً لقوله تعالى : (وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس)[63] قال: "الحادثة الرابعة: روى أئمة الحديث برواية مشهورة قريبة من التواتر، وذكر أكثر علماء التفسير أن سبب نـزول الآية الكريمة : (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ. وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ)[64] أن أبا جهل أقسم لئن أرى محمداً ساجداً لأضربنه بهذه الصخرة، فجاءه بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه، وبعد أن أتم الرسول ρ صلاته انصرف، وانطلقت يد أبي جهل إما بدعائه ρ أو لانتفاء

---

63 المائدة، آية 67.

64 يس، آية 8 و9.

الحاجة"[65].

ولعل السبب في ذلك أن منهج النورسي في التعليق على الآيات، واستنباط وجوه الهداية والإعجاز، ولفت أنظار الناس إلى أهمية الإيمان وإيقاظه في نفوسهم، لم يكن يحتاج معه إلى الإكثار من إيراد أسباب النـزول . والله أعلم.

5- ترجمة القرآن: تعرض النورسي للحديث عن ترجمة القرآن في أكثر من موضع في رسائله، وكان يبين في هذه المواضع عدم إمكانية ترجمة القرآن ترجمة حرفية، وذكر في أحد المواضع عدداً من الآيات الكريمة التي لا يمكن ترجمتها حرفياً لما فيها من وجوه البلاغة في أعلى درجاتها. وقال: "فهل يمكن -يا ترى- ترجمة أمثال هذه الآيات الكريمة ترجمة حقيقية، لا شك أنها غير ممكنة، فإن كان ولا بد، فإما أن تُعطى معاني إجمالية مختصرة للآية الكريمة، أو يلزم تفسير كل جملة منها في حوالي ستة أسطر"[66]. وحين تناهى إلى سمعه دعوة أحد الخبثاء لترجمة القرآن انبرى للرد عليه وكشف ضلاله، وقد تحدث النورسي عن ذلك في خاتمة الشعاع الحادي عشر حيث قال:

---

65 المكتوبات، ص213، وفي ص218 أشار المحقق إلى صحة الرواية بسياق آخر رواه مسلم في صحيحه برقم (2797)، أما هذا السياق فرواه ابن اسحاق وأبو نعيم في الدلائل والطبراني والقاضي عياض في الشفاء أ.هـ. قلت: والحادثة مذكورة في كتب التفسير بسياق قريب انظر الطبري 152/10، والقرطبي 7/15، وأبا السعود 161/7.

66 المكتوبات، ص505، وانظر ص439.

"طرق سمعي قبل اثنتي عشرة سنة، أن زنديقاً عنيداً، قد فضح سوء طويته وخبث قصده بإقدامه على ترجمة القرآن الكريم، فحاك خطة رهيبة للتهوين من شأنه بمحاولة ترجمته، وصرَّح قائلاً: ليترجم القرآن لتظهر قيمته، أي ليرى الناس تكراراته غير الضرورية! ولتتلى ترجمته بدلاً منه! إلى آخره من الأفكار السامة، إلا أن رسائل النور بفضل الله قد شلت تلك الفكرة، وعقمت تلك الخطة بحججها الدامغة، وبانتشارها الواسع في كل مكان، فأثبتت إثباتاً قاطعاً أنه لا يمكن قطعاً ترجمة القرآن الكريم ترجمة حقيقية، وإن أية لغة غير اللغة العربية الفصحى عاجزة عن الحفاظ على مزايا القرآن الكريم ونكته البلاغية اللطيفة، وإن الترجمات العادية الجزئية التي يقوم بها البشر لن تحل -بأي حال- محل التعابير الجامعة المعجزة للكلمات القرآنية التي في كل حرف من حروفها حسنات تتصاعد من العشرة إلى الألف، لذا لا يمكن مطلقاً تلاوة الترجمة بدلاً منه "[67].

والنورسي في موقفه هذا ، موافق لجمهور العلماء الذين وقفوا أمام القول بترجمة القرآن ترجمة حرفية موقفاً صارماً يرى عدم إمكانية ذلك، مع إجازتهم ترجمة معاني الآيات[68].

6- إعجاز القرآن: أفرد النورسي للحديث عن إعجاز القرآن

---

67 الشعاعات، ص315.

68 انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، 114/2 والمعجزة الكبرى، محمد ابو زهرة، ص588-591.

(الكلمة الخامسة والعشرين) وسمّاها رسالة المعجزات القرآنية، كما تحدث عن الإعجاز في مواضع غير قليلة في رسائله، وجعل كتابه القيم (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) تفسيراً للقرآن الكريم يطبق من خلاله نظرية النظم تطبيقاً عملياً على الآيات؛ حيث يبين نظم الآية بما قبلها وما بعدها، ثم نظم الجمل في الآية، ثم نظم الكلمات والحروف في الجملة، إلا أنه توقف في تفسيره القيم هذا عند الآية الحادية والثلاثين من سورة البقرة ولم يتمه.

وقد تفاوتت عبارات النورسي في عدد أوجه إعجاز القرآن، ففي حين يذكر في بعض المواضع أنها عشرة[69]، يذكر في مواضع أخرى أنها سبعة[70]، وفي غيرها أنها أربعون[71] وفي مواضع أخرى أنها أكثر من ذلك[72]، وبعد التأمل في هذه العبارات يمكن استخلاص أن النورسي حين يذكر أنها سبعة أو عشرة يقصد الوجوه العامة الرئيسة، وحين يذكر أنها أربعون يقصد بها الوجوه التفصيلية الدقيقة أو الفرعية المندرجة تحت الوجوه العامة، أما حين يذكر أنها مئات الوجوه أو لا تُعدُّ ولا تُحصى، يقصد أنواعاً فرعية غاية في الدقة واللطافة يمكن أن تندرج جميعاً تحت نوع واحد، وحين يتحدث النورسي عن وجوه

---

69 اللمعات، ص40.

70 إشارات الإعجاز، ص64، والكلمات، ص522.

71 الكلمات، ص531، والمكتوبات، ص522.

72 اللمعات، ص49، والمكتوبات، ص522.

الإعجاز الكلية يجعل أولها وأظهرها النظم القرآني البديع[73].

وذهب النورسي إلى عدّ (التناسق اللفظي والعددي) بين عدد من ألفاظ القرآن الكريم أحد وجوه إعجازه[74]، إلا أن ما أورده النورسي في هذا الأمر لم يسلم من الاعتراض والمناقشة والتتبع بما يثبت عدم دقة الأرقام المذكورة فيه، ولذا فإني أرى أن لا يُعدُّ التناسق اللفظي والعددي من وجوه إعجاز القرآن.

وللنورسي بحث لطيف في معجزات الأنبياء السابقين فهو يراها تدعو إلى التأمل فيها، واستلهام المخترعات والمكتشفات منها، والاجتهاد في الوسائل التي توصل إلى أشباهها[75]، ومن كلامه في توضيح هذه الفكرة قوله مثلاً (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ)[76] هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا سليمان عليه السلام، وهي تسخير الريح له؛ أي أنه قد قطع في الهواء ما يقطع في شهرين في يوم واحد، فالآية تشير إلى أن الطريق مفتوح أمام البشر لقطع مثل هذه المسافة في الهواء، فيا أيها الإنسان، حاول أن تبلغ هذه المرتبة، واسعَ للدنو من هذه المنـزلة ما دام الطريق ممهداً أمامك، فكأن الله سبحانه وتعالى يقول في معنى هذه الآية الكريمة: إن عبداً من

73 الكلمات، ص881، وإشارات الإعجاز، ص23 و113 و179.

74 انظر: المكتوبات، ص240-242 و489 و494 و522-527.

75 إشارات الإعجاز، ص238 والشعاعات، ص431.

76 سبأ، آية 12.

عبادي ترك هوى نفسه فحملته فوق متون الهواء، وأنت أيها الإنسان، إن نبذت كسل النفس وتركته، واستفدت جيداً من قوانين سنتي الجارية في الكون يمكنك أيضاً أن تمتطي صهوة الهواء.

ومثلاً : (فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً)[77] هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا موسى عليه السلام، وهي تشيرُ إلى أنه يمكن الإستفادة من خزائن الرحمة المدفونة تحت الأرض بآلات بسيطة، بل يمكن تفجير الماء، وهو ينبوع الحياة، من أرض صلدة ميتة كالحجر بوساطة عصا، فهذه الآية تخاطب البشرية بهذا المعنى: يمكنكم أن تجدوا الماء الذي هو ألطف فيض من فيوضات الرحمة الإلهية بوساطة عصا، فاسعوا واعملوا بجد لتجدوه وتكشفوه، فالله سبحانه يخاطب الإنسان بالمعنى الرمزي لهذه الآية: "ما دمت أسلم بيد عبد يعتمد عليَّ ويثق بي عصا، يتمكن بها أن يفجّر الماء أينما شاء، فأنت أيها الإنسان إن اعتمدت على قوانين رحمتي، يمكنك أيضاً أن تخترع آلة شبيهة بتلك العصا أو نظيرة لها، فهيا اسعَ لتجد تلك الآلة..... "[78].

كما ذكر من معجزات الأنبياء السابقين : إبراء الأكمه والأبرص وتليين الحديد وإذابة النحاس، وإحضار الأشياء من

---

77 البقرة، آية 60.

78 الكلمات، ص280.

مسافات بعيدة، وتسخير الجن والشياطين في أمور نافعة، وغيرها[79].

وبعد هذا العرض لمباحث علوم القرآن في رسائل النور يتبين لنا أن النورسي لم يذكر جميع مباحث علوم القرآن، حيث اكتفى منها بما يخدم هدف رسائله، وما تستدعي مادة كتابته أن يعرض له، ولذا أطال الحديث في إعجاز القرآن وفصل في الحديث عنه فهو أقرب مباحث علوم القرآن لموضوع رسائل النور، ويمكن بواسطته إقناع الكثيرين بعظمة القرآن وصلاحيته لجميع العصور، وكان النورسي حريصاً على بيان أن لكل طبقة من الناس حظها من الإعجاز[80]، ترغيباً للجميع أن يقبلوا على القرآن ويحملوا رايته ويكونوا من أهله العاملين بما فيه.

---

79 الكلمات، ص286-290.

80 المكتوبات، ص238-240.

المبحث الثاني
التفسير في رسائل النور

يمكن تقسيم المواضع التي عرض فيها النورسي لتفسير القرآن الكريم إلى قسمين:

الأول: المواضع التي تشتمل على تفسير خالص، قصد فيها تفسير سورة أو آيات، ولم يخالط كلامه في التفسير في هذه المواضع موضوعات أخرى، وهذه المواضع هي: كتاب إشارات الإعجاز، وتفسير سورة الفاتحة[81].

الثاني: المواضع التي تشتمل على التفسير وغيره، وقد يكون مقصوده الأول في هذه المواضع البحث في التفسير، إلا أنه يستطرد بذكر أمور أخرى تجعل التفسير جزءاً يسيراً منها. وقد يكون التفسير في هذه المواضع عارضاً بأن تذكر آية فيتم توضيحها، أو أن يستشهد بمعنى الآية على فكرة.

والنورسي لم يقصد تفسير القرآن آية آية، وإن كان قد شرع فيه في إشارات الإعجاز، إلا أنه اتجه بعد تفسير عدد قليل من الآيات اتجاهاً آخر، وانتقل إلى أسلوب مغاير تماماً، لم يلتزم فيه بتفسير ألفاظ القرآن الكريم كلها، أو بالسير على ترتيب المصحف في حديثه عن الآيات، ولكنه كان دائم الاستشهاد بها

---

81 الشعاعات، ص641-653.

وهي محور جميع رسائل النور ومنطلق أفكارها، ولذا فقد كان النورسي دقيقاً حين عبَّر عن رسائله بأنها رشحات، ولمعات، وشعاعات، وقبسات من أنوار القرآن الكريم وفيوضاته .

وفي النقاط التالية أهمّ القضايا التي بحثها النورسي أو أكد عليها أو اعتنى بها في رسائله مما له علاقة بتفسير الآيات:

1- التزم النورسي في كتابه "إشارات الإعجاز" طريقة واحدة في التفسير فقد كان يبدأ بمقدمة يجعلها مدخلاً لتفسير الآية أو الآيات، وقد يتركها أحياناً، ثم يبين معنى الآية، وقد يقتصر على معنى واحد، وقد يذكر أقوالاً متعددة دون أن ينسبها إلى قائليها ولا يرجح بينها، واستعمل أسلوب الفنقلة في بعض المواضع، وقد يطيل الحديث في مباحث مقتبسة من الآية أو لها صلة بها، ثم يبين نظم الآية مع ما قبلها وما بعدها، ثم نظم الجمل في الآية، ثم نظم الكلمات والحروف في الجملة.

كل هذا بعبارات سلسة مترابطة، وأسلوب أخاذ مؤثر وحجة قوية دامغة.

2- بحث النورسي في أكثر من موضع في خواتيم الآيات وسماها (فذلكة نهايات الآيات) والحكمة من وجودها، ودلالالتها فبين أولاً أن هذه الفذلكات أو الخلاصات "إما أنها تتضمن الأسماء الحسنى أو معناها، وإما أنها تحيل قضاياها إلى العقل وتحثه على التفكير والتدبر فيها، أو تتضمن قاعدة كلية من

مقاصد القرآن فتؤيد بها الآية وتؤكدها"[82].

فقد تكون هذه الفذلكات تعقيباً على حادثة جزئية فرعية، تجعل من تلك الحادثة الجزئية قاعدة كلية عامة[83]، وقد تكون تعقيباً على أفعال الخلق التي لا تستحق إلا العقاب بذكر الرحمة تسلية وتأنيساً[84].

ثم ذكر أمثلة متعددة تؤكد ما قرره، وتبين للقارئ أهمية هذه الفذلكات ودورها الكبير في توضيح المراد.

وسأكتفي هنا بإيراد بعض أمثلته، فمنها قوله:

"إن القرآن قد يذكر الجزئيات المادية المعرضة للتغير، والتي تكون مناط مختلف الكيفيات والأحوال، ثم لأجل تحويلها إلى حقائق ثابتة يقيدها ويجملها بالأسماء الإلهية التي هي نورانية وكلية وثابتة، أو يأتي بخلاصة تسوق العقل إلى التفكر والاعتبار.

ومن أمثلة المعنى الأول (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[85] هذه

82 الكلمات، ص483.

83 الشعاعات، ص309 وانظر المثنوي، ص410 و462.

84 المثنوي، ص339 و462، وفي رسالة المعجزات القرآنية عشر إشارات من إشارات كثيرة جداً لهذه الفذلكات أجاد فيها النورسي ومثل لها (انظر الكلمات، ص483-500).

85 البقرة، آية 31 و32.

الآية تذكر أولاً حادثة جزئية هي: أن سبب تفضيل آدم في الخلافة على الملائكة هو العلم، ومن بعد ذلك تذكر حادثة مغلوبية الملائكة أمام سيدنا آدم في قضية العلم، ثم تعقب ذلك بإجمال هاتين الحادثتين بذكر اسمين كليين من الأسماء الحسنى (أنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) بمعنى أن الملائكة يقولون: أنت العليم يا رب فعلّمت آدم فغلبنا، وأنت الحكيم فتمنحنا كل ما هو ملائم لاستعدادنا، وتفضله علينا باستعداداته.

ومن أمثلة المعنى الثاني : (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ. وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[86] تعرض هذه الآيات الكريمة أن الله تعالى جعل الشاة والمعزى والبقر والإبل، وأمثالها من المخلوقات، ينابيع خالصة زكية لذيذة تدفق الحليب، وجعل سبحانه العنب والتمر وأمثالهما، أطباقاً من النعمة وجفاناً لطيفة لذيذة، كما جعل من أمثال النحل - التي هي معجزة من معجزات القدرة - العسل الذي فيه شفاء للناس إلى جانب لذته

86 النحل، آية 66-69.

وحلاوته، وفي خاتمة المطاف تحث الآيات على التفكر والاعتبار، وقياس غيرها عليها بـ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون[87]".

و"إن شئت فانظر إلى (إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، (إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)، (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، (وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)[88]، وأمثالها من الآيات التي تفيد التوحيد وتذكّر بالآخرة، والتي تنتهي بها أغلب الآيات الكريمة، تر أن القرآن الكريم عند بيانه الأحكام الشرعية الفرعية، والقوانين الاجتماعية، يرفع نظر المخاطب إلى آفاق كلية سامية، فيبدل -بهذه الفواصل الختامية- ذلك الأسلوب السهل الواضح السلس أسلوباً عالياً رفيعاً، كأنه ينقل القارئ من درس الشريعة إلى درس التوحيد. فيثبت أن القرآن كتاب شريعة وأحكام وحكمة، كما هو كتاب عقيدة وإيمان، وهو كتاب ذكر وفكر كما هو كتاب دعاء ودعوة، ....[89]"

وكلام النورسي هذا يدل على علم غزير، وتأمل دقيق في الآيات، وفهم جليل للحكمة من تذييل الآيات بتلك الفذلكات، وهو أمر قل أن يتنبه إليه المفسرون أو أن يلتفتوا إليه، وقد توجد إشارات منه عند بعضهم كالبقاعي والألوسي وغيرهما.

---

87 الكلمات، ص489.

88 من مواضعها: البقرة، آية 20، الأنفال، آية 75، ابراهيم، آية 4، الروم، آية 5 على الترتيب.

89 الشعاعات، ص309.

3- حرص النورسي على أن يَردَّ على الشبه والإشكالات التي تثار على الآيات، وعلى التوفيق بين موهم الخلاف والتناقض بين الآيات، بردود قوية مفحمة عميقة لا تبقي لتلك الشبه أو التوهمات أي بقية، وتقتلعها من جذورها ومن الشبه التي حرص النورسي على ردّها: زعم أن التكرار في الآيات القرآنية نقص في بلاغته، فبيّن في رده أن تكرار بعض الأمور في القرآن له حكم وفوائد عظيمة. وأن ما قد يتوهمه بعضهم من تكرار ليس كذلك لاختلاف أحكام الآيات ومقاصدها، وإليك كلامه عن التكرار في أحد المواضع:

"اعلم، أن القرآن لأنه كتاب ذكر، وكتاب دعاء، وكتاب دعوة، يكون تكراره أحسن وأبلغ بل ألزم، وليس كما ظنه القاصرون؛ إذ الذكر يُكرر، والدعاء يُردد، والدعوة تُؤكد؛ إذ في تكرير الذكر تنوير، وفي ترديد الدعاء تقرير، وفي تكرار الدعوة تأكيد.

واعلم أنه لا يمكن لكل أحد في كل وقت قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء لكل أحد في كل وقت، فلهذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سوره؛ لا سيما الطويلة منها، حتى صارت كل سورة قرآناً صغيراً، فسّهل السبيل لكل أحد، دون أن يحرم أحداً، فكرر التوحيد والحشر وقصة موسى عليه السلام.

اعلم أنه كما أن الحاجات الجسمانية مختلفة في الأوقات، كذلك

الحاجات المعنوية الإنسانية أيضاً مختلفة في الأوقات، فإلى قسم في كل آن كـ (هو الله) للروح - كحاجة الجسم إلى الهواء- وإلى قسم في كل ساعة كـ (بسم الله) وهكذا فقس، فتكرار الآيات والكلمات إذن للدلالة على تكرار الاحتياج، وللإشارة إلى شدة الاحتياج إليها، ولتنبيه عرق الاحتياج وإيقاظه ، وللتشويق على الاحتياج، ولتحريك اشتهاء الاحتياج إلى تلك الأغذية المعنوية.

اعلم أن القرآن مؤسس لهذا الدين العظيم المتين، وأساسات لهذا العالم الإسلامي، ومقلب لاجتماعيات البشر ومحولها ومبدلها، وجواب لمكررات أسئلة الطبقات المختلفة للبشرية بألسنة الأقوال والأحوال، ولا بد للمؤسس من التكرير للتثبيت، ومن الترديد للتأكيد، ومن التكرار للتقرير والتأييد.

اعلم أن القرآن يبحث عن مسائل عظيمة ويدعو القلوب إلى الإيمان بها، وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول إلى معرفتها، فلا بدّ لتقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة من التكرار في صور مختلفة وأساليب متنوعة.

اعلم أن لكل آية ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً[90]، ولكل قصة

---

90 ورد في هامش الكلمات، ص451، والملاحق، ص60 أن هذه العبارة جزء من تتمة حديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف) في رواية عند الطبري بنص: لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع (باختصار عن كشف الخفاء، 209/1). انتهى، وقد حكم المحدث أحمد محمد شاكر على رواية الطبري لهذا الحديث بالضعف، وفي الرواية لكل

وجوهاً وأحكاماً وفوائد ومقاصد، فتذكر في موضع لوجه، وفي آخر لأخرى، وفي سورة لمقصد وفي أخرى لآخر، وهكذا، فعلى هذا لا تكرار إلا في الصورة"[91].

وردّ النورسي على شبهة أن القرآن يذكر قصصاً وحوادث جزئية مثل قصة ذبح البقرة، فما الداعي لذكرها وهي مجرد قصة قديمة وحادثة جزئية، وقد ذكرت في القرآن ضمن هالة من الأوصاف حتى تسمت السورة باسم البقرة، وبعد أن ردّ على شبهة قصة البقرة بالذات قرر قاعدة عامة للقصص الأخرى التي يمكن أن تشبهها، وفيما يلي كلامه في الرد على هذه الشبهة:

"من المعلوم أن أراضي مصر جرداء قاحلة؛ إذ هي جزء من الصحراء الكبرى، إلا أنها تدّر محاصيل وفيرة ببركة نهر النيل، حتى غدت كأنها مزرعة تجود بوفير المحاصيل، لذا فإن وجود مثل هذه الجنة الوارفة بجنب تلك الصحراء التي تستطير ناراً جعل الزراعة والفلاحة مرغوبة فيها لدى أهل مصر، حتى توغلت في طبائعهم، بل أضفت تلك الرغبة الشديدة في الزراعة نوعاً من السمو والقدسية، كما أضفت بدورها قدسية على واسطة الزراعة من ثور وبقر، حتى بلغ الأمر أن منح أهل مصر -في ذلك الوقت- قدسية على البقر والثور إلى حد العبادة، وقد ترعرع بنو إسرائيل في هذه المنطقة وبين أحضان هذه البيئة والأجواء،

حرف وليس (لكل آية) (ر: تفسير الطبري بتحقيق محمود محمد شاكر، وتخريج احمد محمد شاكر 22/1).

91 المكتوبات، ص267 و268، وانظر الكلمات، ص265، والشعاعات، ص302-308 و 313، والمثنوي، ص70 و190.

فأخذوا من طبائعهم حظاً، كما يفهم من حادثة "العجل" المعروفة. وهكذا يعلمنا القرآن الكريم بذبح بقرة واحدة أن سيدنا موسى عليه السلام قد ذبح برسالته مفهوم عبادة البقر، ذلك المفهوم الذي سرى في عروق تلك الأمة، وتنامى في استعداداتهم، فالقرآن الكريم إنما يبين بهذه الحادثة الجزئية بياناً معجزاً، دستوراً كلياً ، ودرساً ضرورياً في الحكمة يحتاجه كل أحد في كل وقت.

فافهم قياساً على هذا أن الحوادث الجزئية المذكورة في القرآن الكريم على صورة حوادث تاريخية، إنما هي طرف وجزء من دساتير كلية شاملة ينبئ عنها... "[92].

كما رد النورسي على شبهة أثارها بعض الملحدين بقولهم : إلى متى نرفع أكفنا وندعو، وهو على كل شيء قدير؟ أي أنهم يشككون بقدرة الله تعالى وقد كان ردّ النورسي على هذه الشبهة بإثبات عظمة الله تعالى من خلال التدبر في آياته الكونية وفي خلقه مفتتحاً الرد بقوله سبحانه (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)[93]، وقد أطال النورسي في الرد[94]، مظهراً من خلاله

---

92 الكلمات، ص269-271.

93 فصلت، ص53.

94 الكلمات، ص782-833 الكلمة الثالثة والثلاثون، وهي المكتوب الثالث والثلاثون ايضاً، وتتكون من ثلاث وثلاثين نافذة، كان اختيار النورسي لهذا الرقم تبركاً بالأذكار التي تأتي عقب الصلوات الخمس.

التناسق الجميل، والتوافق التام بين كتاب الله المسطور، وكتاب الله المنظور.

ورد النورسي على شبهة تتعلق بحادثة انشقاق القمر المذكورة في قوله تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ)[95] إذ جنح قوم إلى إنكارها بقولهم: لو كان الانشقاق قد حدث فعلاً لعرفه العالم ولذكرته كتب التاريخ كلها.

وكان جواب النورسي على هذه الشبهة قوياً ومباشراً، لم يدع فيه مجالاً لمرتاب ولا حجة لطاعن، قال فيه: "إن إنشقاق القمر معجزة لاثبات النبوة، وقعت أمام الذين سمعوا بدعوة النبوة وأنكروها، وحدثت ليلاً في وقت تسود فيه الغفلة، وأظهرت آنياً، فضلاً عن أن اختلاف المطالع ووجود السحاب والغمام وأمثالها من الموانع تحول دون رؤية القمر، علماً أن أعمال الرصد ووسائل الحضارة لم تكن في ذلك الوقت منتشرة، لذا لا يلزم أن يرى الانشقاق كل الناس، في كل مكان، ولا يلزم أيضاً أن يدخل كتب التاريخ...

ثم إنه في ذلك الوقت: كانت سحب الجهل تغطي سماء إنكلترا، والوقت على وشك الغروب في أسبانيا، وأمريكا في وضح النهار، والصباح قد تنفس في الصين واليابان، وفي غيرها من البلدان هناك موانع أخرى للرؤية فلا تشاهد هذه

---

95 القمر، آية 1.

المعجزة العظيمة فيها، فإذا علمت هذا فتأمل في كلام الذي يقول: "إن تاريخ إنكلترا والصين واليابان وأمريكا وأمثالها من البلدان لا تذكر هذه الحادثة، إذن لم تقع!" أي هذر هذا.. ألا تباً للذين يقتاتون على فتات أوروبا"[96]. كما رد النورسي على شُبَهٍ أخرى أثيرت حول القرآن الكريم[97]. أما التوفيق بين موهم الخلاف من الآيات، فقد عرض له النورسي في مواضع محدودة من رسائله، ومن ذلك توفيقه بين قوله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)[98]، وقوله (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً)[99]، ببيان اختلاف طبائع البشر واستعداداتهم، فمنهم من يرقى بخصاله الحميدة حتى يبلغ مرتبة الأنبياء والصديقين، ومنهم من يرضى بإلحاق الضرر بآلاف الناس في سبيل منفعة ذاتية، وكل إنسان جاهل كل ما يخص الحياة ويلزمها، ومضطر إلى تعلم كل شيء فهو (جهول) لأنه محتاج إلى ما لا يجد من الأشياء...[100].

4- كان النورسي يميل إلى القول بجميع ما تحتمله الآية من معانٍ، وهذا واضح في عدد من المواضع في رسائله، فأثناء حديثه عن قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا

---

96 الكلمات، ص702 و704 والمكتوبات، ص 271 و273.

97 انظر: الكلمات، ص 293 و585 و728 و737، والمكتوبات، ص 401 و407، والشعاعات، ص 294، وإشارات الإعجاز 223، والمثنوي، ص401.

98 الاسراء، آية 70.

99 الأحزاب، آية 72.

100 المكتوبات، ص 426، 427، وانظر الكلمات، ص214 و216.

يَبْغِيَانِ)[101] بيّن جواز جميع ما تحتمله من معان : "ابتداءً من بحر الربوبية في دائرة الوجوب، وبحر العبودية في دائرة الإمكان، وانتهاءً إلى بحري الدنيا والآخرة، وإلى بحري عالم الشهادة وعالم الغيب، وإلى البحار المحيطة في الشرق والغرب، وفي الشمال والجنوب، إلى بحر الروم وبحر فارس، والبحر الأبيض والأسود - وإلى المضيق بينهما الذي يخرج منه السمك المسمى بالمرجان - وإلى البحر الأبيض والبحر الأحمر وقناة السويس، وإلى بحار المياه العذبة والمالحة، وإلى بحار المياه الجوفية العذبة المتفرقة، والبحار المالحة التي على ظهر الأرض المتصل بعضها ببعض، وما يسمى بالبحار الصغيرة العذبة من الأنهار الكبيرة كالنيل ودجلة والفرات، والبحار المالحة التي يختلط معها.

كل هذه الجزئيات موجودة ضمن معاني تلك الآية الكريمة، وجميع هذه الجزئيات تصح أن تكون مرادة ومقصودة، فهي معان حقيقية للآية الكريمة ومعان مجازية"[102].

وعند تأمله في إطلاق لفظ (الصالحات) في القرآن الكريم دون تقييده بعمل أو قول معين، تبين له أن هذا الإطلاق مقصوده حمل اللفظ على أعم معانيه، وأن كل عمل صالح يندرج تحت

---

101 الرحمن، آية 19 و20.

102 المكتوبات، ص422 و423.

هذا اللفظ، إلا أن الحكم على عمل ما بأنه صالح أو غير صالح أمر نسبي، يحصل فيه الاختلاف بسبب تغير المكان والزمان والجهة والصنف، ولما كان القرآن الكريم خطاباً إلهياً شاملاً لجميع طبقات الجن والإنس ولكل العصور، والأحوال والظروف كافة، "وحيث إن الحسن النسبي والخير النسبي كثير جداً، فإن إطلاق القرآن إذن في (الصالحات) إيجاز بليغ لإطناب طويل، وإن سكوته عن بيان أنواع الصالحات كلام واسع"[103].

إلا أن النورسي اقتصر في مواضع من رسائله على معنى واحد مما يمكن أن تحتمله الآية ولم يذكر غيره، وذلك لأن هذا المعنى هو الذي يرجحه، وهو الذي يوصل إلى المعنى الذي يريده، أو يناسب سياق كلامه، مثال ذلك أنه عندما قارن بين ما ورد في القرآن الكريم من صفة الصحابة الكرام، وما ورد في التوراة والإنجيل من صفتهم اقتصر في تفسير قوله تعالى لـ (وَالَّذِينَ مَعَهُ)[104] أنها تدل على أبي بكر الصديق، و(أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ) تدل على عمر، (رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) تدل على عثمان، و(تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا)... تشير إلى علي، فالآية تشير إلى ترتيب الخلفاء الذين سيخلفون مقام النبي ρ بعد وفاته، كما تشير إلى

103 صيقل الإسلام، ص334.

104 الفتح، آية 29.

أبرز صفة خاصة بكل منهم مما اشتهروا به[105].

فالنورسي هنا لم يحمل المعنى على العموم بل اقتصر على ما يراه موصلاً إلى ما يريد في هذا الموضع. كما اقتصر في تفسير (قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)[106] على قول واحد فقط هو : إلاّ محبة آل بيت النبي ρ[107].

ومن أمثلة اختيار النورسي للمعنى الذي يراه أرجح والتأكيد عليه دون سواه، قوله في تفسير الآية (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ)[108] بأن هؤلاء الولدان الأطفال الذين توفوا قبل البلوغ، ولم يكونوا يؤدون الفرائض الشرعية ندباً -حيث لم تفرض عليهم- أما الأطفال الذين توفوا قبل البلوغ وكانت أعمارهم بين السابعة والبلوغ، وكانوا يؤدون الفرائض ندباً سيكونون في الثالث والثلاثين من العمر ليجازوا كالكبار الملتزمين بالدين[109].

واقتصار النورسي على هذا المعنى دون غيره ليحث الآباء على الاعتناء بأبنائهم وترغيبهم في أداء الفرائض وهم دون

---

105 اللمعات، ص42 و43، وانظر في الأقوال الأخرى في معنى الآية: زاد المسير، ابن الجوزي، 445/7 و446.

106 الشورى، آية 23.

107 اللمعات، ص 31 وانظر في الأقوال الأخرى في معنى الآية: زاد المسير لابن الجوزي 284/7 و 285.

108 الواقعة، آية 17.

109 الملاحق، ص347. وانظر الإشارة إلى هذا القول في الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 203/17.

البلوغ، ولحث الأبناء على الالتزام بأداء الفرائض ابتداءً من سن السابعة لينشأوا على الالتزام وحب العبادة والتمسك بها.

5- للنورسي استنباطات لطيفة من الآيات، وتعليقات جميلة عليها، واختيارات في معنى الآية، وخواطر شخصية وانفعالات، كل هذا ضمن عبارات وأسلوب شيق، وقد وجدت في رسائل النور مواضع كثيرة يمكن التمثيل بها لتأكيد هذه النقطة، وسأحاول الاختيار من بينها مع الإحالة إلى رسائل النور في باقيها.

أ) عند حديث النورسي عن الجزالة الخارقة في نظم القرآن، أورد مثالين لبيان نظم الكلمات المتعانقة لكل جملة والتي لا يصلح مكانها غيرها بتناسق وتكامل.

"**المثال الأول**: قوله تعالى : (وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ)[110] هذه الجملة مسوقة لإظهار هول العذاب، ولكن بإظهار التأثير الشديد لأقله، ولهذا فإن جميع هيئات الجملة التي تفيد التقليل تنظر إلى هذا التقليل وتمده بالقوة كي يظهر الهول: فلفظ (لئن) هو للتشكيك، والتشكيك يوحي القلة، ولفظ (مس) هو إصابة قليلة، يفيد القلة أيضاً، ولفظ (نفحة) مادته رائحة قليلة، فيفيد القلة، كما أن صيغته تدل على واحدة، أي واحدة صغيرة، كما في التعبير الصرفي -مصدر المرة- فيفيد القلة، وتنوين

---

110 الأنبياء، آية 46.

التنكير في (نفحة) هي لتقليلها، بمعنى أنها شيء صغير إلى حدّ لا يعلم فينكر، ولفظ (من) هو للتبعيض، بمعنى جزء، فيفيد القلة، ولفظ (عذاب) هو نوع خفيف من الجزاء بالنسبة إلى النكال والعقاب، فيشير إلى القلة، ولفظ (ربك) بدلاً من : القهار، الجبار، المنتقم، فيفيد القلة أيضاً، وذلك بإحساسه الشفقة والرحمة. وهكذا تفيد الجملة أنه:

إذا كان العذاب شديداً ومؤثراً مع هذه القلة، فكيف يكون هول العقاب الإلهي؟ فتأمل في الجملة لترى كيف تتجاوب الهيئات الصغيرة، فيعين كل الآخر، فكل يمد المقصد بجهته الخاصة. هذا المثال الذي سقناه يلحظ اللفظ والمقصد.

المثال الثاني: قوله تعالى : (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[111] فهيئات هذه الجملة تشير إلى خمسة شروط لقبول الصدقة.

- الشرط الأول: المستفاد من (من) التبعيضية في لفظ (مما) أي: أن لا يبسط المتصدق يده كل البسط فيحتاج إلى الصدقة.
- الشرط الثاني : المستفاد من لفظ (رزقناهم)؛ أي: أن لا يأخذ من زيد ويتصدق على عمرو، بل يجب أن يكون من ماله بمعنى : تصدقوا مما هو رزق لكم.
- الشرط الثالث: المستفاد من لفظ (نا) في (رزقنا) أي: أن

---

111 البقرة، آية 3.

لا يمن فيستكثر، أي لا منة لكم في التصدق، فأنا أرزقكم، وتنفقون من مالي على عبدي.

- الشرط الرابع: المستفاد من (ينفقون) أي: ينفق على من يضعه في حاجاته الضرورية ونفقته، وإلا فلا تكون الصدقة مقبولة على من يصرفها في السفاهة.

- الشرط الخامس: المستفاد من (رزقناهم) أيضاً؛ أي يكون التصدق باسم الله؛ أي: المال مالي، فعليكم أن تنفقوه باسمي.

ومع هذه الشروط هناك تعميم في التصدق؛ إذ كما أن الصدقة تكون بالمال تكون بالعلم أيضاً، وبالقول والفعل والنصيحة كذلك، وتشير إلى هذه الأقسام كلمة (ما) التي في (مما) بعموميتها، وتشير إليها في هذه الجملة بالذات، لأنها مطلقة تفيد العموم، وهكذا تفيد هذه الجملة الوجيزة -التي تفيد الصدقة- إلى عقل الإنسان خمسة شروط للصدقة مع بيان ميدانها الواسع وتشعرها بهيئاتها..."[112].

ب) ذاق النورسي حلاوة طعم قوله تعالى : (حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[113] في وقت كان يعاني فيه من ألوان الغربة، وأنواع المرض، وصراع بين نفسه التواقة للبقاء وعجزه وفقره، وإذا بهذه الآية الكريمة تمده من أنوارها ومراتبها القيمة بما يزيل

---

112 الكلمات، ص426-428، وانظر إشارات الإعجاز، ص45 و53، وصيقل الإسلام، ص102.

113 آل عمران، آية 173.

كربه ويكشف غمه، وكتب عن تأملاته في هذه الآية وتبدل شعوره بسببها كلاماً جميلاً استوعب الشعاع الرابع[114].

جـ) للنورسي تعليق لطيف على قوله تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ)[115] من خلال وقائع حصلت له ولعدد من إخوانه وأتباعه استخلص منها، أنه كلما انشغل هو أو غيره بخاصة نفسه وترك خدمة القرآن أتاه تحذير من الله، على صورة لطمة تأديب رحيمة أو صفعة عتاب رؤوفة ، فيسرع بجد لخدمة القرآن مرة أخرى، ولما أراد أن يذكر الأمثلة لتأييد كلامه بدأ بنفسه قال: "فالأول منهم هو هذا المسكين.. سعيد، فكلما انشغلت بما يعود إلى خاصة نفسي بما يفتر عملي للقرآن، أو انهمكت في أموري الخاصة، وقلت: ما لي وللآخرين، أتاني التحذير وجاءتني اللطمة، لذا بت على يقين من أن هذه العقوبة لم تنـزل إلا نتيجة إهمالي وفتوري في خدمة القرآن، لأنني كنت أتلقى اللطمة بخلاف المقصد الذي ساقني إلى الغفلة، ثم بدأنا مع الأخوة المخلصين نتابع الحوادث ونلاحظ التنبيهات الربانية، والصفعات التي نـزلت بإخوتي الآخرين، فأمعنا النظر فيها، وتقصينا كلاً منها، فوجدنا أن

114 الشعاعات، ص 68-101.

115 آل عمران، آية 30.

اللطمة قد أتتهم مثلي حيثما أهملوا العمل للقرآن، وتلقوها بضد ما كانوا يقصدونه، لذا حصلت لدينا القناعة التامة بأن تلك الحوادث والعقوبات إنما هي كرامة من كرامات خدمة القرآن ... "[116]، ثم ذكر أنه كلما انشغل بخدمة القرآن وتعليمه لم يتعرض للأذى والملاحقة، وكلما فكر بأمر نفسه وترك إفادة غيره تعرض للنفي أو للمراقبة والتضييق "وكنت فيها - أي بارلا- كلما أصابني الفتور في العمل للقرآن، واستولى عليَّ التفكير بخاصة نفسي وإصلاح آخرتي، كان أحد ثعابين أهل الدنيا يتسلط عليّ، وأحد المنافقين يتعرض لي.."[117] ثم ذكر حوادث مماثلة تعرض لها إخوانه في خدمة القرآن[118]. وختم كلامه بالإجابة على تساؤل يقول: "إنك تعدُّ المصائب التي تصيب إخوانك الخواص وأصدقاءك تأديباً ربانياً ولطمة عتاب لفتورهم عن خدمة القرآن، بينما الذين يعادون خدمة القرآن ويعادونكم يعيشون في بحبوحة من العيش، وفي سلام وأمان، فَلِمَ يتعرض صديق القرآن للطمة، ولا يتعرض عدوه لشيء؟

الجواب: يقول المثل الحكيم : (الظلم لا يدوم والكفر يدوم) فأخطاء العاملين في صفوف خدمة القرآن هي من قبيل الظلم تجاه الخدمة، لذا يتعرضون بسرعة للعقاب ويجازون بالتأديب

---

116 اللمعات، ص 67.

117 اللمعات، ص 68.

118 اللمعات، ص 69-78.

الرباني، فإن كانوا واعين يرجعون إلى صوابهم.

أما العدّو فإن صدوده عن القرآن وعداءه لخدمته؛ إنما هو لأجل الضلالة، وإن تجاوزه على خدمة القرآن - سواء شعر به أم لم يشعر- إنما هو من قبيل الكفر والزندقة، وحيث أن الكفر يدوم، فلا يتلقى معظمهم الصفعات بذات السرعة، إذ كما يعاقب من يرتكب أخطاء طفيفة في القضاء أو الناحية، بينما يساق مرتكبو الجرائم الكبيرة إلى محاكم الجزاء الكبرى، كذلك الأخطاء الصغيرة والهفوات التي يرتكبها أهل الإيمان، وأصدقاء القرآن، يتلقون على إثرها جزاءً من العقاب بسرعة في الدنيا ليكفّر عن سيئاتهم ويتطهروا منها، أما جرائم أهل الضلالة فهي كبيرة وجسيمة إلى حد لا تسع هذه الحياة الدنيا القصيرة عقابهم، فيمهلون إلى عالم البقاء والخلود، وإلى المحكمة الكبرى، لتقتص منهم العدالة الإلهية القصاص العادل، لذا لا يلقون غالباً عقابهم في هذه الدنيا.

وفي الحديث الشريف : "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"[119] إشارةٌ إلى هذه الحقيقة التي ذكرناها؛ أي أن المؤمن ينال نتيجة تقصيراته قسماً من جزائه في الدنيا، فتكون بحقه كأنها مكان

---

119 رواه مسلم (حديث رقم 2959) "رقمه 2956 بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي 2272/4". والترمذي (2324)"ط دار الحديث بالقاهرة، تحقيق: احمد محمد شاكر ورفاقه، 562/4" وابن ماجة (4113) "ط دار المعرفة/بيروت، 428/4، وفي صحيح سنن ابن ماجة للألباني رقمه 3321"، واحمد (485/2) "ط دار الفكر رقمه 8296، 210/3 تحقيق: عبد الله الدرويش" كما في هامش صفحة 79 من اللمعات، وما بين القوسين الصغيرين إضافة منى.

جزاء وعقاب، فضلاً عن أن الدنيا بالنسبة لما أعده الله له من نعيم الآخرة سجن وعذاب، أما الكفار فلأنهم مخلّدون في النار، ينالون قسماً من ثواب حسناتهم في الدنيا، وتُمهل سيئاتهم العظيمة إلى الآخرة الخالدة، فتكون الدنيا بالنسبة لهم دار نعيم لما يلاقونه من عذاب الآخرة، وإلا فالمؤمن يجد من النعيم المعنوي في هذه الدنيا ما لا يناله أسعد إنسان، فهو أسعد بكثير من الكافر من زاوية نظر الحقيقة، وكأن إيمان المؤمن بمثابة جنة معنوية في روحه، وكفر الكافر يستعر جحيماً في ماهيته"[120].

د) للنورسي تأمل لطيف في سبب إثبات التاء في (قَالَتِ الأعْرَابُ)[121]، وحذفها في (وَقَالَ نِسْوَةٌ)[122]، وكان حديثه في تعليل ذلك ضمن إجابته على تساؤل حول اختلاف أهل الحق والعلم في حين يتفق أهل الدنيا والغفلة والضلالة، مع أن الاتفاق من شأن أهل الوفاق، والخلاف ملازم لأهل النفاق والشقاق.

ويُلمح في إجابته على هذا السؤال حرصه العظيم على وحدة أهل الحق، ودعوته الحارة إليهم؛ أن يتمسكوا بكتابهم، ويوحدوا صفهم، ويتركوا هوى نفوسهم، وأجدني مضطراً هنا لنقل كلامه بطوله لئلا يؤدي تصرفي فيه إلى الإخلال به، والإنقاص من

---

120 اللمعات، ص78 و 79.

121 الحجرات، آية 14.

122 يوسف، آية 30.

جميل عبارته، قال:

"إن اختلاف أهل الهداية وعدم اتفاقهم ليس نابعاً من ضعفهم، كما أن الاتفاق الصارم بين أهل الضلالة ليس نابعاً من قوتهم، بل إن عدم اتفاق أهل الهداية ناجم عن عدم شعورهم بالحاجة إلى القوة، لما يمدهم به إيمانهم الكامل من مرتكز قوي، وإن اتفاق أهل الغفلة والضلالة ناجم عن الضعف والعجز، حيث لا يجدون في وجدانهم مرتكزاً يستندون إلى قوته، فلفرط احتياج الضعفاء إلى الاتفاق تجدهم يتفقون اتفاقاً قوياً، ولضعف شعور الأقوياء بالحاجة إلى الاتفاق يكون اتفاقهم ضعيفاً، مثلهم في هذا كمثل الأسود والثعالب التي لا تشعر بالحاجة إلى الاتفاق فتراها تعيش فرادى، بينما الوعل والماعز الوحشي تعيش قطعاناً خوفاً من الذئاب أي أن جمعية الضعفاء والشخص المعنوي الممثل لهم قوي، كما أن جمعية الأقوياء والشخص المعنوي الممثل لهم ضعيف[123]، وهناك إشارة لطيفة إلى هذا السر في نكتة قرآنية ظريفة، وهي أنه أسند الفعل قال بصيغة المذكر إلى جماعة الإناث مع كونها مؤنثة مضاعفة، وذلك في قوله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ) بينما جاء الفعل قالت بصيغة المؤنث في قوله

---

123 إن ما يؤيد دعوانا هذه هو أن أقوى المنظمات الأوروبية وأكثرها تأثيراً في المجتمع وأشدها -من ناحية- هي منظمات النساء – وهن الجنس اللطيف- في امريكا التي تطلب بحقوق المرآة وحريتها، وكذلك منظمات الأرمن الذين هم أقلية وضعفاء بين الأمم فتراهم يبدون تضحية وبسالة فائقة. المؤلف (النورسي).

تعالى: (قَالَتِ الأعْرَابُ) وهم جماعة من الذكور، مما تشير إشارة لطيفة إلى أن جماعة النساء الضعيفات اللطيفات تتخاشن وتتقوى وتكسب نوعاً من الرجولة، فاقتضت الحال صيغة المذكر ، فجاء فعل "قال" مناسباً وفي غاية الجمال، أما الرجال الأقوياء فلأنهم يعتمدون على قوتهم ولا سيما الأعراب البدويون فتكون جماعتهم ضعيفة، كأنها تكسب نوعاً من خاصية الأنوثة من توجس وحذر ولطف ولين، فجاءت صيغة التأنيث للفعل ملائمة جداً في قوله تعالى: (قَالَتِ الأعْرَابُ).

نعم، إن الذين ينشدون الحق لا يرون وجه الحاجة إلى معاونة الآخرين لما يحملون في قلوبهم من إيمان قوي؛ يمدهم بسند عظيم ويبعث فيهم التوكل والتسليم، حتى لو احتاجوا إلى الآخرين فلا يتشبثون بهم بقوة، أما الذين جعلوا الدنيا همهم، فلغفلتهم عن قوة استنادهم ومرتكزهم الحقيقي يجدون في أنفسهم الضعف والعجز في إنجاز أمور الدنيا، فيشعرون بحاجة ملحة إلى من يمد لهم يد التعاون، فيتفقون معهم اتفاقاً جاداً لا يخلو من تضحية وفداء.

وهكذا، فلأن طلاب الحق لا يقدِّرون قوة الحق الكافية في الاتفاق، ولا يبالون بها، ينساقون إلى نتيجة باطلة وخيمة، تلك هي الاختلاف، بينما أهل الباطل والضلالة؛ فلأنهم يشعرون - بسبب عجزهم وضعفهم - بما في الاتفاق من قوة عظيمة، فقد نالوا أمضى وسيلة توصلهم إلى أهدافهم، تلك هي الاتفاق.

وطريق النجاة من هذا الواقع الباطل الأليم، والتخلص من هذا المرض الفتّاك، مرض الاختلاف الذي ألمَّ بأهل الحق؛ هو اتخاذ النهي الإلهي في الآية الكريمة (وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)[124] واتخاذ الأمر الرباني في الآية الكريمة (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى)[125] دستورين للعمل في الحياة الاجتماعية، ثم العلم بمدى ما يسببه الاختلاف من ضرر بليغ في الإسلام والمسلمين، وبمدى ما ييسّر السبيل أمام أهل الضلالة ليبسطوا أيديهم على أهل الحق، ثم الالتحاق بقافلة الإيمان التي تنشد الحق، والانخراط في صفوفها بتضحية وفداء، وبشعور نابع من عجز كامل وضعف تام، وذلك مع نكران الذات، والنجاة من الرياء ابتغاء الوصول إلى نيل شرف الإخلاص"[126].

وبعد، فأرجو أن أكون قد وفقت في عرضي لمعالم منهج النورسي في التعامل مع القرآن الكريم من خلال ما بيّنته في هذا البحث، ولا أدعي أني أحطت بكل شيء.

وحسبي أني نهلت من معين رسائل النور، ورشفت من بحرها الحلو الفياض، واقتبست من شعاعاتها ولمعاتها البهيّة.

وقد تركت ذكر بعض الأمور اليسيرة المتعلقة بمنهج

---

124 الأنفال، 46.

125 المائدة، 2.

126 اللمعات، ص233 و234.

النورسي في تفسير الآيات اكتفاءً بما قدمت، ولتعلّقها بقضايا فرعية دقيقة، أو لعدم تكرر ورودها في رسائل النور، فلا تشكّل ظاهرة عامة فيها.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وآله وصحبه وأتباعه أجمعين.

حكمة التكرار في القرآن الكريم

من خلال رسائل النور

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فإن الإمام المصلح المجدد بديع الزمان سعيد النورسي، صاحب يد طولى وعطاء مميز في خدمة هذا الدين العظيم، ولا يملك من يقرأ سيرة حياته إلا أن يشهد له بأنه الرجل الفذ في تلك المرحلة العصيبة طغت فيها الظلمات، وخُطط لتركيا أن تنسلخ عن دينها وتراثها، وكان لمواقفه العظيمة البطولية، وكلماته المخلصة أثناء محاكماته الظالمة أثر كبير على كل من يسمع خطابه أو يصل إليه [127]، وتذكرنا مواقفه هذه بأمثاله من الدعاة الشامخين الذين وقفوا في وجه الظلم، وكانت كلماتهم نورا للمهتدين ونارا على الظالمين.

---

127 انظر مثلا: الشعاعات/426، وصيقل الإسلام/439-474 "جميع رسائل النور التي رجعت إليها في هذا البحث من إصدار: دار سوزلر في استانبول، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، ط الأولى، 1995".

وبوفاة النورسي لم تمت دعوته بل ازدادت اتساعا، وكثر أتباعه داخل تركيا وخارجها، وتيسرت السبل أمام انتشار أفكاره، ونشر رسائله بلغات مختلفة، وتم إصدار "كليات رسائل النور" باللغة العربية في حلة قشيبة وسلسلة أنيقة، رائعة في مظهرها كما هو مخبرها، كما كتب حول النورسي ورسائله وفكره ومنهجه ودعوته بحوث كثيرة، ورسائل علمية متعددة، ومقالات صحفية، ومؤتمرات متخصصة، كل هذا يشهد للنورسي بالمكانة المرموقة والمنـزلة المميزة.

تمهيد

" إن رسائل النور تفسير للقرآن الكريم، تفسير نابع من القرآن مدعم بالبراهين، لذا فإن فيها تكرارات ضرورية مساقة لحكمة ومصلحة كالتكرارات القرآنية اللطيفة، الحكيمة، الضرورية، والتي لا تسئم القارئ أبدا.

وكذا لأن رسائل النور هي دلائل كلمة التوحيد التي تكرر باستمرار على الألسنة في ذوق وشوق دون سأم، فإن تكراراتها الضرورية لا تعدّ نقصا فيها، ولا تضجر القارئ ولا ينبغي لها أن تضجر".[128]

نحا الإمام النورسي في رسائله منحى مميزا في التأليف، وقد أكثر من التأكيد على أن هذه الرسائل تفسير للقرآن، ومن يتأمل

---

128 الشعاعات/95.

فيها يجد التفسير مبثوثا في ثناياها، متداخلا مع كثير من الأفكار والآراء، وقلما تخلو صفحة من صفحات هذه الرسائل من آية أو آيات.[129]

وكثيرا ما جعل النورسي مفتاح حديثه في إحدى الرسائل آية من كتاب الله تعالى، وقد تكون محورا لهذه الرسالة، وقد يكون موضوع الرسالة مقتبسا منها، وقد تكون لمجرد التبرك بها والاستفتاح.[130]

ففي رسائل النور كمّ من التفسير والتعليق على الآيات، وبحث في جملة من علوم القرآن، ومن بين الموضوعات التي اعتنى بها النورسي وتكلم عنها في أكثر من موضع: التكرار في القرآن الكريم، وقد قمت في بحثي هذا بتتبع كلام النورسي عن التكرار في القرآن، فوجدته ينحصر في أمرين هما:

- الحديث عن الحكمة من وجود التكرار في القرآن الكريم.
- تناول ألفاظ قرآنية مكررة في مواضع متعددة بالتوضيح والتبيين.

وقد وجدت لزاما عليّ قبل الشروع في توضيح هذين الأمرين أن أبين معنى التكرار، وأن أعرض آراء عدد من العلماء فيه، وهل في القرآن تكرار أم لا ؟

---

129 انظر مثلا: الكلمات/832، والمكتوبات/463 و476، والملاحق/220 و221، والشعاعات/180 و214 و225 و470 و503و684 والمثنوي/156.

130 انظر مثلا: الكلمات/195، واللمعات/211 و299، والمكتوبات/339، والمثنوي/362.

المبحث الأول

معنى التكرار

هذا اللفظ من أكثر الألفاظ استعمالا وتكرارا في حياتنا اليومية، وظاهرة التكرار بمعناه الواسع تكاد توجد في كل شيء حولنا، ففي كثير من كلماتنا وجملنا تتكرر الحروف، كما يكثر استعمال ألفاظ معينة فيتكرر ورودها على الألسنة، وتتكرر مشاهد معينة على كل امرئ منا، وحين نرجع إلى علمائنا لنبحث في معنى هذا اللفظ نجد: "كرر: ردّد أو أعاد الشيء مرة بعد أخرى أو مرارا كثيرة" [131]، ومنهم من زاد:" إعادة الشيء لفائدة". [132]

والمصدر القياسي للفعل كرر: التكرير، والتكرار مصدر سماعي، أو بناء على وزن تَفعال يراد به التكثير والمبالغة من الفعل كرّ [133]، وقد فرّق عدد من العلماء بين اللفظين، ومال عدد آخر إلى عدم التفريق بينهما - وهو الذي سأسير عليه في هذا البحث - قال التهانوي:" التكرير هو ذكر الشيء مرة فصاعدا

---

131 ابن منظور، لسان العرب، مادة:كرر. و الجرجاني، الشريف علي بن محمد، التعريفات،41. والفيروزأبادي، القاموس المحيط، مادة: كرر.

132 الطيبي، حسين بن محمد، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، 360.

133 خلف الجرادات، ظاهرة التكرير في التراكيب النحوية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الأردن، 21.

بعد أخرى، وكذا التكرار".[134]

ويجد من يطالع في كلام أهل العلم تباينا في توسيع مدلول التكرار أو حصره، ويمكن القول إن الاتجاه الأكثر يميل إلى توسيع مدلول التكرار ليدخل فيه تكرار اللفظ أو معناه، لفائدة أو لغير فائدة، ويدخل فيه تكرار اللفظ والجملة والنص، وهذا ابن رشيق يقسم التكرير إلى ثلاثة أنواع:

- ما تكرر لفظه ومعناه متحد.
- ما تكرر لفظه ومعناه مختلف.
- ما تكرر معناه دون لفظه.[135] وتبعه في هذا التقسيم عدد من العلماء[136].

وذهب عدد من العلماء إلى أن التكرار ستة أنواع هي:

1 - تكرار مفيد يوجد في اللفظ والمعنى، يدل على معنى واحد، والمقصود به غرضان مختلفان.

2 - تكرار مفيد يوجد في اللفظ والمعنى، يدل على معنى واحد، والمقصود به غرض واحد.

3 - تكرار مفيد يوجد في المعنى دون اللفظ، يدل على معنيين

---

134 التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، 1237/3.

135 ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر، 72/2.

136 ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 344/2و345
ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، 111و112.
الزركشي، البرهان في علوم القرآن 10/3.
مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، 193.

مختلفين.

4 - تكرار مفيد يوجد في المعنى دون اللفظ، يدل على معنى واحد فقط.

5 - تكرار غير مفيد، يوجد في اللفظ والمعنى.

6 - تكرار غير مفيد، يوجد في المعنى دون اللفظ.[137]

ويمكن القول إن هذا هو المعنى الواسع أو العام للتكرار، ويشمل: الترادف، والتماثل، والتشابه، والإطناب، والتوكيد، وعليه فلا يعد التكرار معيبا إلا إذا كان لغير فائدة، وذكر الذاهبون إلى هذا الرأي فوائد التكرار وأسبابه والدوافع إليه، وأهميته لتحسين الكلام وتوضيح المقصود.[138]

أما الاتجاه الآخر فيميل إلى تضييق معنى التكرار وحصره في إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد، فإذا لم يكن المعاد اللفظ نفسه،أو أعيد اللفظ أكثر من مرة ولكن لكل موضع سياقه الخاص

---

137 العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، 177/2-190، مطبعة المقتطف بمصر، 1914.

ابن الأثير، المثل السائر، 3/3 -40.

ابن عابدين، التقرير في التكرير، 26-28 و36.

د. محمود السيد شيخون، أسرار التكرار في لغة القرآن، 9 و10،مكتبة الكليات الأزهرية بمصر.

138 الزركشي، البرهان في علوم القرآن،11/3-33.

د. محمود السيد شيخون، أسرار التكرار في لغة القرآن،21-30.

د. عز الدين السيد، التكرير بين المثير والتأثير، 117-197، عالم الكتب، ط 2، 1986.

ومعناه الخاص، فلا يكون ذلك تكرارا،[139] وعليه يكون التكرار في الكلام معيبا غير مقبول، ولا يدخل فيه التوكيد ولا تشابه الألفاظ وتماثلها، وإن أعيد اللفظ في سياق آخر فليس من التكرار في شيء، وقد قال بهذا الرأي أو مال إليه عدد من العلماء، فهذا الطبري ينفي التكرار في الآيات المتقاربة أو المتتابعة بقوله:" وغير موجود في شيء من كتاب الله آيتان متجاورتان مكررتان بلفظ واحد ومعنى واحد، لا فصل بينهما من كلام يخالف معناه معناهما، وإنما يأتي بتكرير آية بكمالها في السورة الواحدة، مع فصول تفصل بين ذلك، وكلام يعترض به بغير معنى الآيات المكررات، أو غير ألفاظها"،[140] وأكّد سيد قطب نفي التكرار في القرآن بقوله:" ويحسب أناس أن هنالك تكرارا في القصص القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في صور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية الغرض الذي تساق القصة من أجله، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت

139 د. فضل حسن عباس، قضية التكرار في كتاب الله وصلتها بالإعجاز، 5، منشور في مجلة كلية الشريعة، جامعة الكويت، العدد7، 1987، وانظر: خلف الجرادات، ظاهرة التكرير في التراكيب النحوية، 71.

140 الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 64/1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط 3، 1968.

حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار".[141] وتابعه محمد قطب ـ شقيقه ـ فقال:" إن التنويع لا التكرار هو الظاهرة الحقيقية في القرآن، وإنه لمن إعجاز هذا الكتاب أن يعرض الموضوعات التي يكرر ذكرها للتذكير والتربية والتوجيه، بهذا القدر المعجز من التنويع بحيث لا تتكرر صورتان متماثلتان أبدا في القرآن كله، على كثرة المواضع التي يرد فيها كل موضوع".[142]

وبعد عرض هذين الرأيين أنتقل إلى النظر في عبارات النورسي حول التكرار، حيث يظهر أن النورسي كان يرجح القول الأول، فهو يتحدث عن التكرار في القرآن على أنه أحد وجوه إعجازه،[143] وأنه موجود في آيات العقيدة، والترغيب والترهيب، والقصص، كما تعرض لبيان الحكمة من وجوده في القرآن[144]، وإن كان قد علّق أكثر من مرة بعد حديثه عن التكرار بقوله:" فعلى هذا لا تكرار إلا في الصورة"[145]، وقوله:" هذا بناء على تسليم التكرار"[146]، ويظهر هذا التذييل ميل النورسي إلى

---

141 سيد قطب، في ظلال القرآن، 64/1، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ط 7، 1971.

142 محمد قطب، دراسات قرآنية، 261، دار الشروق، ط 2، 1980.

143 الكلمات/528، والشعاعات/305.

144 اللمعات/114 و119 و420، والمكتوبات/267 و268، وغيرها.

145 الكلمات/268، والمثنوي/71.

146 إشارات الإعجاز/39.

القول بالرأي الثاني أحيانا، إلا أن غالب كلامه يصب في تأكيد اقتناعه بالقول الأول، وأنه يرى وجود التكرار في القرآن، وقد بيّن في أكثر من موضع في رسائله الحكمة من التكرار في القرآن، وهو ما سيتم بيانه في المبحث التالي بإذن الله.

المبحث الثاني
حكمة التكرار في القرآن

ذكر النورسي رأيه في الحكمة من وجود التكرار في القرآن الكريم، وكان أحيانا يذكر عدة نقاط متتالية، ويذكر بعضها أحيانا اخرى، وقد يتداخل كلامه في بعض المواضع، وفي هذا المبحث سأعرض لرأيه في الحكمة من التكرار في القرآن، وقد رأيت أن أتبع كل نقطة منها بالتوضيح والتعليق والتأكيد مباشرة، مع المحافظة على تسميته لها بالنقاط[147]، واجتهادي في اختيار عناوينها.

النقطة الأولى: التقرير والتوكيد

يرى النورسي أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي يحتوي على الذكر والدعاء والدعوة، وتحتاج هذه الأمور إلى أن تكرر لتؤكد وتقرر، قال:" اعلم أن القرآن لأنه كتاب ذكر وكتاب دعاء وكتاب دعوة، يكون تكراره أحسن وأبلغ بل ألزم، وليس كما ظنه

---

147 المثنوي العربي النوري/70.

القاصرون، إذ الذكر يكرّر، والدعاء يردّد، والدعوة تؤكّد، إذ في تكرير الذكر تنوير، وفي ترديد الدعاء تقرير، وفي تكرار الدعوة تأكيد".[148]

وقال:" إن التكرير للمسائل الإيمانية بأساليب شتى له حكم كثيرة كالتقرير والإقناع والتحقيق".[149]

وقال:" وقد جاء مكررا ليقرر، ومرددا ليحقق قصصا وأحكاما، مع أنه لا يمل تكراره، ولا يزيل عودُه ذوقه، ولا يُسأم ترداده، كلما كرر حقق وقرّر، بل ما كررته تحلو وتفوح أنفاس الرحمن منه - إن المسك ما كررته يتضوع - وكلما استعدته استلذته، إن كان لك ذوق سليم بقلب غير سقيم، والسر فيه أنه قوت و غذاء للقلوب، وقوة وشفاء للأرواح، والقوت لا يمل تكراره، فمألوفه آنس وألذ، خلاف التفكه الذي لذته في تجدده، وسآمته في تكرره".[150]

وقال:" ومن هذا السر أيضا الترداد للتثبيت، والتكرير للتقرير في القرآن الحكيم".[151]

هذه العبارات المتعددة تبين أن النورسي يرى أن التقرير والتأكيد هي الحكمة الأولى من حكم التكرار في القرآن الكريم، وقد ذهب إلى ذلك كثيرون، قال ابن عابدين:" واعلم أن المفيد

---

148 الكلمات/265، والمكتوبات/267، والمثنوي/70.

149 اللمعات/42.

150 المثنوي/230.

151 المثنوي/322.

من التكرير يأتي في الكلام تأكيدا له وتشييدا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك"[152]، وقال:" وقد قلنا إن التكرير إنما يأتي لما أهمّ من الأمر الذي بصرف العناية إليه يثبت ويتقرر".[153]

وقال الزركشي:" القسم الرابع عشر: التكرار على وجه التأكيد... وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظنا أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسنها، ولا سيما إذا تعلق بعضه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذ أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كررته توكيدا".[154]

وعبارات العلماء في هذا كثيرة[155]، وفي كتب التفسير نجد عبارات مشابهة، ففي تفسير قوله تعالى: (لَن يَضُرُّواْ اللّهَ شَيْئاً) قال القرطبي:" كرر للتأكيد"[156]، وقال في تفسير: (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ):" وكرر الرحمة لما اختلف اللفظ تأكيدا وإشباعا للمعنى"[157]، وقال أبو حيان في تفسير قوله تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا):" والشرعة والمنهاج لفظان

---

152 ابن عابدين، محمد أبو الخير، التقرير في التكرير، 27 و28.

153 ابن عابدين، التقرير في التكرير، 33.

154 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 8/3 و9.

155 أورد كثيرا منها: خلف الجرادات في: ظاهرة التكرير في التراكيب النحوية، 63-88.

156 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 286/4، والجملة المفسرة من الآية177/آل عمران.

157 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،177/2، والجملة المفسرة من الآية 157/البقرة.

لمعنى واحد أي طريقا، وكرر للتوكيد كما قال الشاعر: وهند أتى من دونها النأي والبعد".[158]

فهذه النقطة الأولى تكاد تكون موضع إجماع، ولذا قدّمها النورسي، والواقعُ وكلام السادة العلماء يشهد لهذا.

النقطة الثانية: التيسير على قارئي القرآن

" واعلم أنه لا يمكن لكل أحد في كل وقت قراءة تمام القرآن الذي هو دواء وشفاء لكل أحد في كل وقت، فلهذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر السور، لا سيما الطويلة منها، حتى صارت كل سورة قرآنا صغيرا، فسهل السبيل لكل أحد دون أن يحرم أحدا، فكرر التوحيد والحشر وقصة موسى عليه السلام".[159]

وقال:" لأن كثيرين لا يستطيعون قراءة كل القرآن، فيكون في بعض ما يقرأون ما يغني عن الباقي لتكراره".[160]

وقد أشار إلى هذه الحكمة عدد من العلماء، منهم ابن قتيبة إذ قال:" كانت وفود العرب ترد على رسول الله ρ للإسلام، فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن، فيكون ذلك كافيا لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة

158 أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 502/3، والجملة المفسرة من الآية 48/المائدة.

159 الكلمات/265، والمكتوبات/268، وفي المثنوي/70 حتى " فسهل السبيل لكل أحد"

160 الكلمات/536، والشعاعات/313.

عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، ويلقيها في كل سمع، ويثبتها في كل قلب..."[161].

ومع أن ما كرر من آيات القرآن الكريم وموضوعاته لم يكن بالألفاظ نفسها، وفي كل مرة إضافة جديدة أو تبيين لقضية - وسيأتي كلام النورسي في هذا - إلا أن عامة قارئي القرآن لا تعنيهم هذه النكات والدقائق كثيرا، فحسبهم الإلمام بأصل المسألة وتكوين فكرة يسيرة عن الموضوع، ولذا كان لهم في دراسة بعض سور القرآن الكريم ما يكفيهم ويسد حاجتهم، فلم يحرموا من فهم مقاصد القرآن العامة، وموضوعاته الرئيسة.

أما تعبير النورسي بـ " قرآنا صغيرا" فقد يعترض عليه بما روي عن بعض السلف من كراهة وصف السورة بأنها صغيرة، فعن أبي العالية أنه قال لرجل سمعه يصف سورة بأنها صغيرة:" أنت أصغر منها، وأما القرآن فكله عظيم"[162]، وقد ورد عن بعضهم وصف السورة بأنها صغيرة، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده:" ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد

161 ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، بتحقيق السيد أحمد صقر، 181.

162 القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار، تحقيق: ثروت محمد نافع، 121، دار التوحيد، والقرطبي ينقله عن مكي.

سمعت رسول الله ρ يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة"[163]، ولا يخفى أن مقصود النورسي بهذا التعبير تقريب الصورة للقارئ، وتمثيل سور القرآن الكريم الطوال بأن كل واحدة تقوم مقام القرآن كله لاحتوائها غالبا على أكثر مقاصده.

النقطة الثالثة: مراعاة تكرر الحاجات

" اعلم أنه كما أن الحاجات الجسمانية مختلفة في الأوقات، كذلك الحاجات المعنوية الإنسانية أيضا مختلفة الأوقات، فإلى قسم في كل آن كـ "هو، الله" للروح- كحاجة الجسم إلى الهواء- وإلى قسم في كل ساعة كـ "بسم الله" وهكذا فقس.

فتكرار الآيات والكلمات إذن للدلالة على تكرر الاحتياج، وللإشارة إلى شدة الاحتياج إليها، ولتنبيه عرق الاحتياج وإيقاظه وللتشويق على الاحتياج، ولتحريك اشتهاء الاحتياج إلى تلك الأغذية المعنوية".[164]

أجاد النورسي في الدخول إلى هذه النقطة حين بدأ بقياس حاجات الإنسان المعنوية في تنوعها على تنوع حاجاته الجسمية، فالروح تحتاج إلى الغذاء، وغذاؤها في ذكر الله، وحاجتها إليه قوية جدا، وكلما زاد مقدار الغذاء للروح بذكر الله ارتقى الإنسان

---

163 رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب من رأى التخفيف فيها، رقم الحديث 814، و رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر، رقم الحديث 13359، 365/12، تحقيق: حمدي السلفي.

164 المكتوبات/268، والكلمات/265، وانظر المثنوي/71 و230.

وانتفع، ولذا وجد في القرآن الكريم تكرار ذكر اسم الله تعالى وصفاته.

ويستلزم تكرر حاجات الناس إلى تبيين أمورهم والإجابة على أسئلتهم، تكرر الإرشاد والتوضيح، كما يقتضي نسيان الإنسان للأساسيات والمهمات أن يذكر بها دائما وأن يلفت نظره إليها، ولذا كان تكرير التصوير لما سيحدث للكون من دمار، وتبيين مظاهر عظمة الله وسيطرته على هذا الكون، وعظيم غضبه على الكافرين والظالمين[165]، ومع هذا التذكير والتكرار ينسى كثير من الناس أمر الآخرة، ويركنون إلى الدنيا، فالحاجة إلى التذكير قائمة: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ) (الكهف:54)

النقطة الرابعة: تثبيت الأسس

" اعلم أن القرآن مؤسس لهذا الدين العظيم المتين، وأساسات لهذا العالم الإسلامي، ومقلب لاجتماعيات البشر ومحولها ومبدلها، وجواب لمكررات أسئلة الطبقات المختلفة للبشرية بألسنة الأقوال والأحوال... ولا بد للمؤسس من التكرير للتثبيت، ومن الترديد للتأكيد، ومن التكرار للتقرير والتأييد".[166]

يمكن جعل هذه النقطة فرعا عن النقطة الأولى، فإن تثبيت

---

165 ينظر: الكلمات/529 و534 و535، والشعاعات/306 و312.

166 المكتوبات/268، والكلمات/265، والمثنوي/71.

الأسس يندرج ضمن التقرير والتأكيد، إلا أن النورسي رغب في إفراده بنقطة خاصة للتأكيد على أهمية الأسس والاعتناء بها وحاجتها إلى أن تكرر لتثبت في النفوس، وبيّن في هذه النقطة أن القرآن الكريم هو أساس هذا الدين، ويعني هذا أنه أساس للعالم الإسلامي، الذي يستمد عقيدته ومنهجه من القرآن، ولولاه لما كان، كما أن القرآن الكريم منذ أنـزل هو مقلب لاجتماعيات البشر، وكم تغيرت من قلوب فآمنت بعد سماعها آيات من كلام الله، وكم انقلبت مجتمعات كانت غارقة في ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والهداية بسبب تأثير آيات هذا الكتاب العظيم فيها، ولأن القرآن أساس هذا الدين فيه الإجابة على جميع أسئلة البشر الحائرين التائهين الذين يتساءلون: لماذا خُلقنا ؟ ومن خَلقنا؟ وما مهمتنا؟ وماذا بعد الموت؟ هذه الأسئلة وكثير غيرها تولى القرآن الإجابة عنها بتفصيل وإبانة في غاية الوضوح، ولذا فلا جرم أن تكرر المعاني العظيمة التي فيه، والأسس التي احتوى عليها.

النقطة الخامسة: تنوع الأساليب

"اعلم أن القرآن يبحث في مسائل عظيمة ويدعو القلوب إلى الإيمان بها، وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول إلى معرفتها، فلا بدّ لتقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة من التكرار في

صور مختلفة وأساليب متنوعة".[167]

ذكر العلماء من فوائد التكرار أمورا كثيرة يمكن أن تندرج ضمن هذه النقطة مثل: التعظيم والتهويل، والوعيد والتهديد، والتنويه والإشادة، والتشويق والتأنيس، والتوبيخ والتعجب، والتهكم والازدراء، والتفخيم والتعظيم، والمبالغة والتحريض[168]، وكلها أساليب متنوعة ترمي إلى تحسين الكلام، كما يتميز أسلوب القرآن الكريم بالتنوع في العرض، ويمكن أن يمثل لهذا بالقصص القرآني، والآيات التي تتحدث عن اليوم الآخر وإثباته، وهي من الأمور التي يدعو القرآن إلى تقريرها وتثبيتها في القلوب، ولذا كان عرضها بأساليب متعددة وصور متنوعة، ليكون لهذا التنويع أثره العظيم في النفوس.

النقطة السادسة: تعدد مقاصد القرآن وفوائده

" اعلم أن لكل آية ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا[169]، ولكل قصة وجوها و أحكاما وفوائد ومقاصد، فتذكر في موضع لوجه، وفي

---

167 الكلمات/265، والمكتوبات/268، والمثنوي/71.

168 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 17/3 و18.

د. محمود السيد شيخون، أسرار التكرار في لغة القرآن، 21-31.

د. عز الدين السيد، التكرير بين المثير والتأثير، 121-132.

169 ورد في هامش الكلمات/451، والملاحق/60: ان هذه العبارة جزء من حديث:" أنزل القرآن على سبعة أحرف " في رواية عند الطبراني بنص:" لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع" باختصار عن كشف الخفاء209/1أ.هـ.

آخر لأخرى، وفي سورة لمقصد، وفي أخرى لآخر، وهكذا، فعلى هذا لا تكرار إلا في الصورة ".[170]

هذه الجملة القيمة من كلام النورسي توضح أن ما ورد في القرآن الكريم من موضوعات وقصص في أكثر المواضع إنما هي بسياق قريب من سياق الموضع الآخر، ولا يمكن أن يتشابه الموضعان تشابها تاما، ويمكن أن يمثل لهذا بكثير من الأمثلة، منها الآيات التي تبين أحداث اليوم الآخر، فإنها مع اتحاد ما تتحدث عنه، تعرضه كل مرة بأسلوب مغاير وألفاظ مختلفة، فالآيات التي تبين ما سيحصل للجبال في ذلك اليوم تقول: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) ، (يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا) ، (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ)، (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا) ، (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ) ، (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) ، (وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا) ، (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) ، (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) ، (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ)، (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ، وَتَرَى

قلت: في المعجم الكبير للطبراني:"ولكل آية منها ظهر وبطن" حديث رقم 10107، 130/10، وفي المعجم الأوسط مثله، رقم الحديث777، 433/1، وضعّف المحدث أحمد محمد شاكر رواية الطبري لهذا الحديث "تفسير الطبري، جامع البيان 22/1".

170 الكلمات/265 و266، والمكتوبات/268، والمثنوي/71.

الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)[171]، فهذه الآيات ذات الموضوع الواحد تتحدث عنه من أكثر من زاوية، وتبين كل واحدة منها جزءا من أحداث ذلك اليوم، وتتكامل الصورة بالجمع بينها، فليست أي منها تكرارا عن غيرها، قال الرازي:

" اعلم أن الله تعالى ذكر في مواضع من كتابه أحوال هذه الجبال على وجوه مختلفة، ويمكن الجمع بينها على الوجه الذي نقوله، وهو أن أول أحوالها الاندكاك ... والحالة الثانية لها أن تصير كالعهن المنفوش ... والحالة الثالثة أن تصير كالهباء، وذلك أن تتقطع وتتبدد بعد أن كانت كالعهن...والحالة الرابعة أن تنسف لأنها في الأحوال المتقدمة قارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتنسف بإرسال الرياح عليها... والحالة الخامسة أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطيرها شعاعا في الهواء كأنها غبار، فمن نظر إليها من بعد حسبها لتكاثفها أجساما جامدة وهي في الحقيقة مارة إلا أن مرورها بسبب مرور الرياح بها صيرها منكدة متفتتة، وهي قوله: (تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)، ثم بين أن تلك الحركة حصلت بقهره وتسخيره فقال: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً) الحالة السادسة أن تصير سرابا بمعنى لا شيء، فمن نظر إلى مواضعها لم يجد فيها شيئا، كما أن من يرى

---

171 مواضع الآيات الكريمة على التوالي: المعارج/9، المزمل/14، المرسلات/10، طه/105، الكهف/47، الطور/10، الواقعة/5، الحاقة/14، النبأ/20، التكوير/3، القارعة/5، النمل/88.

السراب من بعد إذا جاء الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئا ".[172]

ومما يندرج في هذه النقطة آية: (فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان) " فإنها وإن تعددت، فكل واحد منها متعلق بما قبله، وإن الله تعالى خاطب بها الثقلين من الجن والإنس، وعدد عليهم نعمه التي خلقها لهم، فكلما ذكر فصلا من فصول النعم طلب إقرارهم واقتضاهم الشكر عليه، وهي أنواع مختلفة وصور شتى "[173]، ومنها آيات القصص، وسيأتي تفصيل الحديث عنهما في المبحث التالي بإذن الله.

ويلاحظ ما في عبارة النورسي: " فتذكر في موضع لوجه، وفي آخر لأخرى، وفي سورة لمقصد، وفي أخرى لآخر " من بلاغة في الإيجاز بالقصر.

المبحث الثالث

المواضع التي بيّن النورسي حكمة التكرار فيها

بعد أن تحدث النورسي عن حكم التكرار في القرآن الكريم من خلال نقاط متعددة، وكلام عام لم يتعرض فيه للجزئيات مكتفيا بإرساء القاعدة، خاصة أن طبيعة رسائله لا تقتضي منه

172 الفخر الرازي، التفسير الكبير، 11/31 و12.

173 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 18/3.

استقصاء الآيات والجمل التي تكررت في كتاب الله، ولذا فإن المواضع التي بيّن النورسي فيها حكمة التكرار قليلة، محصورة في حديثه عن الحكمة من تكرار البسملة، وآية (فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) وآية (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)، وآية(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) وقصص الأنبياء.

وقبل أن أنتقل إلى تفصيل الحديث عنها رأيت أن أثبت هنا عبارة لطيفة للنورسي حول التكرار في هذه الآيات وفي القصص، قال:

(إن قلت: إن في القرآن الموجز المعجز أشياء مكررة تكراراً كثيراً في الظاهر كالبسملة و(فبأي آلاء) الخ.. و(ويل يومئذ) الخ.. وقصة موسى وأمثالها، مع أن التكرار يُمِلُّ وينافي البلاغة.

قيل لك: "مَا كُلُّ مَا يَتَلألأُ يُحْرِقُ" فان التكرار قد يُمِلُّ، لا مطلقاً. بل قد يُستحسن وقد يُسأم. فكمَا أن في غذاء الإنسان ما هو قُوت كلما تكرر حلا وكان آنس، وما هو تفكّه إن تكرر مُلَّ وإن تجدد اُستُلِذّ، كذلك في الكلام ما هو حقيقة وقوت وقوّة للأفكار وغذاء للأرواح كلما استعيد اُستحسن واستؤنس بمألوفه كضياء الشمس. وفيه ما هو من قبيل الزينة والتفكه، لذتُه في تجدّد صورتِه وتلوّن لباسه.

إذا عرفت هذا فاعلم! انه كما أن القرآن بمجموعه قوتٌ وقوّة للقلوب لا يُمَلُّ على التكرار بل يُستحلى على الإكثار

منه، كذلك في القرآن ما هو روح لذلك القوت كلما تكرر تلألأ وفارت أشعة الحق والحقيقة من أطرافه، وفي ذلك البعض ماهو أسّ الأساس والعقدة الحياتية والنور المتجسد بجسدٍ سرمدي كـ (بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحِيْم). فيا هذا شاور مذاقك إن كنت ذا مذاق!..

هذا بناء على تسليم التكرار، وإلاّ فيجوز أن تكون قصة موسى مثلا مذكورة في كل مقامٍ لوجهٍ مناسب من الوجوه المشتملة هي عليها. فان قصة موسى أجدى من تفاريق العصا [174] أخذَها القرآن بيده البيضاء فضةً فصاغتها ذهباً، فخرت سحرةُ البيان ساجدين لبلاغته". [175]

وفيما يلي تفصيل كلامه عن التكرار في هذه الآيات:

1 - البسملة: سبق في النقطة الثالثة تمثيل النورسي بالبسملة أثناء حديثه عن تكرر الحاجات المستلزم لتكرار الآيات، وفي الجملة السابقة عبارة تتعلق بالبسملة تبين أن تكرارها يرجع إلى كونها تمثل" أس الأساس والعقدة الحياتية والنور المتجسد بجسد سرمدي"، وبعد هذه العبارة بأسطر قليلة توضيح لها في قوله: "وكذا في البسملة جهات من الاستعانة والتبرك والموضوعية بل الغايتية والفهرستية للنقط الأساسية في القرآن... وأيضا فيها

---

174 انك خير من تفاريق العصا، مثل يضرب فيمن نفعه أعمّ من نفع غيره (مجمع الامثال للميدانى).

175 إشارات الإعجاز/39.

مقامات: كمقام التوحيد، ومقام التنـزيه، ومقام الثناء، ومقام الجلال والجمال، ومقام الإحسان، وغيرها... وأيضا فيها أحكام ضمنية: كالإشارة إلى التوحيد والنبوة والحشر والعدل، أعني المقاصد الأربعة المشهورة، مع أن في أكثر السور يكون المقصود بالذات واحدا منها والباقي استطراديا، فلم لا يجوز أن يكون لجهة أو حكم أو مقام منها مناسبة مخصوصة لروح السورة، وتكون موضوعا للمقام بل فهرستة إجمالية باعتبار تلك الجهات والمقامات".[176]

وفي موضع آخر قال عن البسملة:" إن جملة "بسم الله الرحمن الرحيم" هي آية واحدة تتكرر مئة وأربع عشرة مرة في القرآن الكريم، وذلك لأنها حقيقة كبرى تملأ الكون نورا وضياء وتشد الفرش بالعرش برباط وثيق - كما بيناها في اللمعة الرابعة عشرة - فما من أحد إلا وهو بحاجة مسيسة إلى هذه الحقيقة العظمى ملايين المرات فالحاجة ما زالت قائمة باقية لا ترتوي، إذ ليست هي حاجة يومية كالخبز، بل هي أيضا كالهواء والضياء الذي يضطر إليه ويشتاق كل دقيقة ".[177]

يظهر من هذه العبارات أن النورسي يرى البسملة جملة عظيمة المحتوى، غزيرة المعاني، يمكن للمتأمل فيها استنباط

---

176 إشارات الإعجاز/39 و40.

177 الكلمات/529.

مقامات وأحكام ومقاصد كثيرة، فالحاجة إليها ماسة وقائمة مهما تكررت، كما يمكن أن يقال: إن للبسملة في بداية كل سورة معنى يخص هذه السورة وموضوعها، وهذا الكلام اللطيف الذي قاله النورسي قام كل من البقاعي وطنطاوي جوهري بتطبيقه، فإنهما قبل الشروع في تفسير السورة يفسران البسملة بما يلائم تلك السورة، ففي أول سورة الدخان قال البقاعي:" مقصودها الإنذار من الهلكة لمن لم يقبل ما في الذكر الكريم الحكيم من الخير والبركة، رحمة جعلها بين عامة خلقه مشتركة وعلى ذلك دل اسمها الدخان إذا تؤملت آياته، وإفصاح ما فيها وإشاراته، "بسم الله" الملك الجبار الواحد القهار "الرحمن" الذي عمّ بنعمة النذارة "الرحيم" الذي خص أهل وداده برحمة البشارة "[178]، وقال في أول سورة طه: " "بسم" الواسع الحلم التام القدرة "الله" الملك الأعظم "الرحمن" الذي استوى في أصل نعمته جميع خلقه "الرحيم" الذي أتم النعمة على أهل توفيقه ولطفه "[179]، ويفسر طنطاوي جوهري البسملة في كل سورة بما يناسب موضوعها وقد يطيل في ذلك صفحات[180]، وبهذا يظهر التلاؤم والانسجام

178 البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 62/7، دار الكتب العلمية، بيروت.

179 البقاعي، نظم الدرر، 4/5.

180 طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، 17/4-9، 18/144-150، 25/3-6، المكتبة الإسلامية بمصر.

بين كلام النورسي العام هنا، وتطبيقاته على سور القرآن الكريم المتعددة عند البقاعي وطنطاوي جوهري، ولعل غيرهما سلك هذا المسلك أيضا.

ومما ينبغي التنبيه إليه هنا أن البسملة في أوائل السور سوى الفاتحة ليست آية منها على الراجح، وإثباتها للفصل بين السور، أما سورة الفاتحة فالبسملة هي الآية الأولى منها حسب العدد الكوفي والمكي، وليست آية منها - كما في سائر السور - عند بقية علماء العدد[181]، ولا خلاف في أنها بعض الآية 30 في سورة النمل، فوجود البسملة في أوائل السور له أهمية كبرى للإعلام بابتداء السور، والحديث عن تكرارها باعتبار وجودها في المصحف.

2 - قوله تعالى:(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**)**[182]

" وإن الآية الكريمة**"** وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ **"**تتكرر ثماني مرات في سورة الشعراء، فتكرار هذه الآية العظيمة التي تنطوي على ألوف الحقائق في سورة تذكر نجاة الأنبياء عليهم السلام وعذاب أقوامهم، إنما هو لبيان:

أن مظالم أقوامهم تمس الغاية من الخلق، وتتعرض إلى عظمة الربوبية المطلقة، فتقتضي العزة الربانية عذاب تلك الأقوام

---

181 أبو عمرو الداني، البيان في عدّ آي القرآن، تحقيق د. غانم قدوري الحمد، 50-57 و139، مركز المخطوطات والوثائق بالكويت، ط 1، 1994.

182 الشعراء/9 و68 و104 و122 و140 و159 و175 و191.

الظالمة، مثلما تقتضي الرحمة الإلهية نجاة الأنبياء عليهم السلام، فلو تكررت هذه الآية ألوف المرات لما انقضت الحاجة والشوق إليها، فالتكرار هنا بلاغة راقية ذات أعجاز وإيجاز".[183]

يلاحظ أن النورسي اقتصر في حديثه على هذه الآية مع أن الآية التي قبلها(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) تكررت معها في مواضعها الثمانية، ويؤكد النورسي على أهمية إعادة هذه الجملة تعقيبا على كل قصة من قصص الأنبياء المذكورة في السورة، لشناعة فعل التكذيب من أقوامهم، ولعل في سورة الشعراء إشارة أخرى إلى شناعة ما فعله أولئك الأقوام حين نسب الله تعالى إلى كل قوم منهم تكذيب المرسلين[184] مع أنهم إنما كذّبوا رسولهم، ولكنها الفعلة الشنيعة العظيمة التي استحقوا معها أن ينسب إليهم تكذيب جميع المرسلين.

وقد أشار إلى أهمية هذا التذييل لقصص سورة الشعراء عدد من المفسرين كالزمخشري إذ قال:" كل قصة منها كتنـزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بما اختتمت به، ولأن في التكرير تقريرا للمعاني في الأنفس وتثبيتا لها في الصدور ... ولأن هذه القصص طرقت بها آذان

---

183 الكلمات/529، والشعاعات/307.

184 كما في قوله تعالى:"كذبت قوم نوح المرسلين" الآية 105، وتنظر الآيات 123، و141، و160، و176.

وقر عن الإنصات للحق، وقلوب غلف عن تدبره، فكوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا أو يفتق ذهنا أو يصقل عقلا طال عهده بالصقل، أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدأ"[185]، وقال ابن عاشور:" ختم كل استدلال جيء به على المشركين المكذبين بتذييل واحد هو قوله:**"إن في ذلك لآية.."** تسجيلا عليهم بأن آيات الوحدانية وصدق الرسل عديدة كافية لمن يتطلب الحق، ولكن أكثر المشركين لا يؤمنون، وأن الله عزيز قادر على أن ينـزل بهم العذاب، وأنه رحيم برسله فناصرهم على أعدائهم".[186]

3- قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان**)**.[187]

4- قوله تعالى**:** (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)**.**[188]

تحدث النورسي عن هاتين الآيتين معا، فقال:

" وكذلك الآية الكريمة: (فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان) المكررة في سورة الرحمن، والآية الكريمة**:** (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) المكررة في سورة المرسلات تصرخ كل منهما في وجه العصور قاطبة وتعلن إعلانا صريحا في أقطار السماوات والأرض أن كفر الجن والإنس وجحودهم بالنعم الإلهية، ومظالمهم الشنيعة، يثير

---

185 الزمخشري، الكشاف، 126/3.

186 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 90/19.

187 وردت هذه الآية في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة.

188 وردت هذه الآية في سورة المرسلات 10 مرات.

غضب الكائنات، ويجعل الأرض والسماوات في حنق وغيظ عليهم ... ويخل بحكمة خلق العالم والقصد منه، ويتجاوز حقوق المخلوقات كافة ويتعدى عليها.. ويستخف بعظمة الألوهية وينكرها، لذا فهاتان الآيتان ترتبطان بألوف من أمثال هذه الحقائق، ولهما من الأهمية ما لألوف المسائل وقوتها، لو تكررتا ألوف المرات في خطاب عام موجه إلى الجن والإنس لكانت الضرورة قائمة بعد، والحاجة إليها ما زالت موجودة باقية، فالتكرار هنا بلاغة موجزة جليلة، ومعجزة جميلة".[189]

وتحدث عن الآية الأولى منهما في موضع آخر فقال:" اعلم أن تكرار آية: (فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) في مقاطع الآيات التنـزيلية المشيرة إلى الآيات التكوينية المختلفة في سورة الرحمن يدل على أن أكثر عصيان الجن والإنس وأشد طغيانهما وأعظم كفرانهما يتولد من عدم رؤية الإنعام في النعمة، والغفلة عن المنعم، وإسناد النعم إلى الأسباب والتصادفات، حتى يصيرا مكذبين بآلاء الله، فلا بد للمؤمن من أن يبسمل بدء كل نعمة قاصدا أنها منه أنا آخذها باسمه وبحسابه، لا بحساب الوسائط، فله الشكر والمنة".[190]

تتميز سورة الرحمن بورود قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) بعد كل آية من آياتها بدءا من الآية 13، أو بعد آيتين

---

189 الكلمات/529 و530، والشعاعات/307.

190 المثنوي العربي/189.

لاتصال معناهما، وهي الآيات: "14و15"، و"19و20"،و"26و27"، و"43و44"، و ورود هذه الآية بعد آيات النعم ظاهر، وكلام النورسي في تعليله واضح، كما بين النورسي الحكمة من ورودها بعد آيات العذاب أو التهديد، ولعدد من المفسرين عبارات أخرى، فهذا البقاعي يقول:" وكرر هذه الآية في هذه السورة من هنا بعد كل آية إلى آخرها لما تقدم في القمر من أن المنكر إذا تكرر إنكاره جدا بحيث أحرق الأكباد في المجاهرة بالعناد، حسن سرد ما أنكره عليه، وكلما ذكر بفرد منه قيل له: لم تنكره؟ سواء أقر به حال التقرير، أو استمر على العناد، فالتكرار حينئذ يفيد التعريف بأن إنكاره تجاوز الحد، ولتغاير النعم وتعددها واختلافها حسن تكرير التوقيف عليها واحدة واحدة تنبيها على جلالتها، فإن كانت نعمة فالأمر فيها واضح، وإن كانت نقمة فالنعمة دفعها أو تأخير الإيقاع بها ".[191]

وقال القاسمي:" فإن قيل كيف يكون قوله: (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ) نعمة؟ وقوله: (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) نعمة؟ وكذلك قوله: (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ) وقوله: (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ) وقوله: (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) ؟[192] قلنا: هذه كلها نعم جسام لأن الله هدد العباد بها استصلاحا لهم ليخرجوا من حيّز الكفر

---

191 البقاعي، نظم الدرر، 378/7.

192 أرقام الآيات في سورة الرحمن على الترتيب: 31، 41، 43، 35، 44.

والطغيان والفسوق والعصيان، إلى حيّز الطاعة والإيمان والانقياد والإذعان، فإن من حذر من طرق الردى، وبيّن ما فيها من الأذى، وحث على طرق السلامة الموصلة إلى المثوبة والكرامة، كان منعما عليه غاية الإنعام، ومحسنا غاية الإحسان".[193]

وذهب الألوسي إلى تفسير كل آية منها بما يناسب ما قبلها، فبعد:(رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ. فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) قال:" مما في ذلك من فوائد لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول، وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته"، وبعد:" (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ.فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) قال:" التي من جملتها التنبيه على ما ستلقونه يوم القيامة للتحذير عما سيؤدي إلى سوء الحساب"، وبعد: (فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ. فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[194] قال:"فإن الإخبار بنحو ما ذكر مما يزجر عن الشر فهو لطف أي لطف، ونعمة أي نعمة".[195]

وحول الحكمة من عدد مرات ورود هذه الآية، قال الكرماني:" كرر الآية إحدى وثلاثين مرة، ثمانية منها ذكرت

---

193 القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، 160/1.

194 الآيات من سورة الرحمن وأرقامها على الترتيب 17و18 / 31و32 / 37و38.

195 الألوسي، روح المعاني، 105/27و 112 و114.

عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منها عقيب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم، وحسن ذكر الآلاء عقيبها لأن في صرفها ودفعها نعما توازي النعم المذكورة، أو لأنها حلت بالأعداء، وذلك يعد أكبر النعماء، وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة، وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما، فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله، ووقاه السبعة السابقة، والله تعالى أعلم".[196]

أما قوله تعالى: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) في سورة المرسلات فقد كان يأتي كل مرة عقب قصة، فكأنه سبحانه قال: ويل للمكذبين بهذه القصة، وكل قصة مخالفة لصاحبتها، فأثبت الويل لمن كذب بها.[197]

ولتعليل ورود هذه الآية بعد ذكر جزاء المتقين، قال الفخر الرازي:" اعلم أن هذا هو النوع الثامن من أنواع تهديد الكفار وتعذيبهم، وذلك لأن الخصومة الشديدة، والنفرة العظيمة كانت في الدنيا قائمة بين الكفار والمؤمنين، فصارت تلك النفرة بحيث

---

196 الكرماني، محمود بن حمزة، أسرار التكرار في القرآن، وطبع باسم البرهان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، 198، دار الاعتصام، وفي تفسير النسفي 214/4 قريب منه، وذكر غيرهما وجوها أخرى انظر البرهان للزركشي 19/3، ودرة التنزيل للخطيب الاسكافي.

197 الزركشي، البرهان، 19/3، والسيوطي، الإتقان، 226/3.

أن الموت كان أسهل على الكافر من أن يرى للمؤمن دولة وقوة، فلما بين الله تعالى في السورة اجتماع أنواع العذاب والخزي والنكال على الكفار، بين في هذه الآية اجتماع أنواع السعادة والكرامة في حق المؤمن، حتى إن الكافر حال ما يرى نفسه في غاية الذل والهوان والخزي والخسران، ويرى خصمه في نهاية العز والكرامة والرفعة والمنقبة، تتضاعف حسرته وتتزايد غمومه وهمومه، وهذا أيضا من جنس العذاب الروحاني، فلهذا قال في هذه الآية: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)".[198]

وبهذا يظهر ما في عبارات النورسي من روعة ودقة، وفهم عميق دقيق لهذه الآيات الكريمة، فإن تكرار هاتين الآيتين الكريمتين يعلن ما في الكفر والتكذيب بنعم الله من ظلم عظيم، وجحود بالغ، ومع هذا التذكير والتبيين يعرض معظم الخلق عن الحق، ولا يتذكرون نعم الله عليهم، فما أحراهم بالتوعد على هذا بالويل مرة بعد مرة.

5 - قصص الأنبياء: تحدث النورسي عن الحكمة من تكرار قصص الأنبياء بإيجاز حيث قال:

" ومن المكررات القرآنية - قصص الأنبياء - عليهم السلام، فالحكمة في تكرار قصة موسى عليه السلام - مثلا - التي لها من الحكم والفوائد ما لعصا موسى، وكذا الحكمة في تكرار قصص الأنبياء إنما هي لإثبات الرسالة الأحمدية، وذلك بإظهار نبوة

198 الفخر الرازي، التفسير الكبير، 248/30.

الأنبياء جميعهم حجة على أحقية الرسالة الأحمدية وصدقها، حيث لا يمكن أن ينكرها إلا من ينكر نبوتهم جميعا، فذكرها إذن دليل على الرسالة.

ثم إن كثيرا من الناس لا يستطيعون كل حين ولا يوفقون إلى تلاوة القرآن الكريم كله، بل يكتفون بما تيسر لهم منه، ومن هنا تبدو الحكمة واضحة في جعل كل سورة مطولة ومتوسطة بمثابة قرآن مصغر، ومن ثم تكرار القصص فيها بمثل تكرار أركان الإيمان الضرورية، أي إن تكرار هذه القصص هو مقتضى البلاغة، وليس فيه إسراف قط، زد على ذلك فإن فيه تعليما بأن حادثة ظهور محمد صلى الله عليه وسلم أعظم حادثة للبشرية، وأجل مسألة من مسائل الكون".[199]

ذكر النورسي هنا حكمتين لتكرير قصص الأنبياء:

الأولى:إثبات نبوة محمد ρ، لأنه يلزم من إثبات نبوتهم إثبات نبوته، وفيه رد على اليهود والنصارى الذين يثبتون نبوة أنبيائهم وينفون نبوة رسولنا، كما يلزم من نفي نبوة نبينا نفي نبوة إخوانه السابقين، وهو رد آخر على أهل الكتاب، والتلازم بين نبوة الأنبياء جميعا ظاهر، فهم أصحاب دعوة واحدة، ولتأكيد هذا المعنى كان تكرار قصصهم في القرآن.

الثانية: ان كثيرا من الناس لا يمكنهم قراءة القرآن كله، فمن

---

199 الكلمات/535 و536، والشعاعات/313.

اطلع على بعضه وجد في هذا البعض شيئا من قصص الأنبياء، وقد سبق ذكر هذه النقطة ضمن حديث النورسي عن الحكمة من التكرار، كما سبق إثبات كلام ابن قتيبة وهو قريب مما قاله النورسي هنا.

هذا وقد ذكر العلماء حكما أخرى لتكرار القصص في القرآن منها:

1 - ان القصة حين تذكر في أكثر من موضع، يذكر فيها شيء لم يذكر في المرة الأولى، ففي كل مرة فائدة، وفي كل موضع زيادة، وهذا ظاهر جدا، ويمكن لمن يتأمل في قصص الأنبياء أن يرى الاختلاف واضحا بين مواضع القصة الواحدة، فهذه قصة آدم عليه السلام ذكرت في سور متعددة[200]، وليس بين هذه المواضع كلها أي تكرار بل تكامل وتشابه، ويمكن كذلك المقارنة بين قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف، وهود، والمؤمنون، ونوح، والعنكبوت، والقمر، والصافات ليظهر بوضوح الفرق بينها، أما قصة موسى عليه السلام - وهي أكثر قصص الأنبياء ورودا في القرآن الكريم - فلا يوجد بين أي موضعين من مواضع ذكرها أي تكرار إنما هو التنويع في طريقة عرضها بما يناسب جو السورة التي تذكر فيها.[201]

---

200 هي: البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، وطه، وص.

201 انظر في القصص القرآني والتنويع فيه:
ابن عابدين، التقرير في التكرير، 44.

2 - تسلية النبي ρ.

3 - إن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة فيه ما لا يخفى من الفصاحة.

4- لا تتوافر الدواعي على نقل القصص كتوفرها على نقل الأحكام، فلذا كررت القصص دون الأحكام.

5 - الإعلام بعجز المتحدَّين عن الإتيان بمثل القرآن، بأي نظم جاؤوا، وبأي عبارة عبروا، فقد عجزوا عن الإتيان بمثله مبتدأ ومكررا.

6 - ليجتمع في القرآن ما يوافق الكتب السابقة من سرد القصة كلها في موضع واحد، -وذلك في قصة يوسف- وما يخالفها من تفريق القصة في مواضع متعددة.

7- لدفع ما قد يقوله من قيل لهم **"فأتوا بسورة مثله"**[202] أن يقولوا: ائتوا أنتم بسورة مثله، فكان تعداد وتكرر القصص دفعا لحجتهم من كل وجه.[203]

محمد قطب، دراسات قرآنية، 248-256، دار الشروق،ط 2، 1980.

د. القصبي محمود زلط، قضايا التكرار في القصص القرآني ، دار الأنصار بمصر، ط 1، 1978.

د. فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، 22-27، دار الفرقان بالأردن، ط 1، 1987.

202 يونس/38.

203 انظر: الزركشي، البرهان، 3/25-28.

السيوطي، الإتقان، 3/230 و231.

والحمد لله أولاً وآخراً

د. محمود السيد شيخون، أسرار التكرار في لغة القرآن، 75-78.

الإعجاز النفسي

معناه وأدلته وموقعه بين وجوه الإعجاز

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن الكريم كلام الله، وحبله المتين، والذكر الحكيم، والنور المبين، لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، ولا يُمل مع كثرة التكرار، وقد بذلت جهود عظيمة لخدمته قديماً وحديثاً، وتعددت العلوم المتصلة به، ومنها البحث في إعجازه، وما نزال نرى من علمائنا وباحثينا أفكاراً وآراء ومؤلفات حول الإعجاز، ومنها هذا المؤتمر الذي تقيمه كلية التربية الحكومية في غزة، ويعدُّ حلقة ضمن سلسلة هذه الجهود المتوالية، إلا أن في المؤتمرات ميزة زائدة على التأليف، حيث يكشف اللقاء بين الباحثين والتحاور فيما بينهم عن نقاط وأمور قد لا تظهر للمتأمل وحده، فجزيل الشكر للإخوة القائمين على أمر هذا المؤتمر العلمي المتميز بموضوعه،

وبمكان انعقاده في أرض الرباط والجهاد، أرض النبوة والأنبياء، والعلم والعلماء، والمجاهدين والشهداء.

المبحث الأول
معنى الإعجاز النفسي

بحث في هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم كثيرون، واختلفت عباراتهم في تسميته اختلافاً واضحاً، وقد يكون مؤدى كلامهم متقارباً أو متحداً، وفي بعض الأحيان متباعداً، وبناءً على هذا الاختلاف بينهم، كانت الحاجة ملحة لمحاولة تحديد معنى هذا الوجه، بعد جمع كلام العلماء الأفاضل والمقارنة بين عباراتهم المتناثرة في كتب الإعجاز وغيرها.

ويأتي في المقدمة الإمام الخطابي (ت 388هـ) فهو أول[204] من أشار إلى هذا الوجه من وجوه الإعجاز صراحة في كتابه: بيان إعجاز القرآن حيث قال: " في إعجاز القرآن

204- بحث في إعجاز القرآن الكريم قبل الخطابي جماعة، كالجاحظ والرماني وكاتب المتوكل والطبري وأبو الحسن الأشعري وغيرهم، ولم يظهر في كلام أي منهم الإشارة إلى هذا الوجه أو ذكر له، ولهؤلاء وغيرهم مؤلفات مفقودة في الإعجاز لم تصلنا، ولا نستطيع الجزم بخلوها من ذكر هذا الوجه في الإعجاز، وعليه تم اعتماد نسبة أولية القول بهذا الوجه للخطابي، وقد أثبت أولية الخطابي فيه غير واحد مثل: د. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص 345، ود. صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص 350، ود. خليفة حسين العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص 34.

وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها [من] الوجيب[205] والقلق، وتغشاها [من] الخوف والفَرَق[206] [ما] تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول ρ من رجال العرب وفتّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً"[207] ثم ذكر الخطابي عدداً من الحوادث من السيرة ومن الآيات التي تبين تأثير القرآن في النفوس،

205- وجب القلب وجيباً ووجباناً: خفق واضطرب ورجف (ابراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، مادة وجب، 1023/2).

206- الفَرَق: الجزع وشدة الخوف (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، مادة فرق، 692/2).

207- الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص 92،93 تحقيق: عبد الله الصديق، وص 70، من تحقيق: محمد خلف لله أحمد ود. محمد زغلول سلام، وقد سقط من النسخة الثانية ما أثبته بين حاصرتين.

ويلاحظ أن الخطابي لم يسم هذا الوجه من الإعجاز، إلا أن عباراته الجميلة في تصويره وتقريب معناه واضحة تماماً ومعبرة عن المقصود.

ومن العلماء المتقدمين القاضي عياض (ت 544هـ) إذ قال وهو يعدد وجوه الإعجاز: "ومنها الروعة التي تلحق سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله، وإنافة[208] خطره، وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا ليستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً كما قال تعالى، ويودون انقطاعه لكراهتهم له..."[209]

هذه العبارات من الخطابي والقاضي عياض وأشباهها عند غيرهما، كانت أساساً بنى عليه اللاحقون، إلا أنهم لم يتفقوا على عنوان محدد أو اسم صريح لهذا الوجه من وجوه الإعجاز، ومعظمهم يمر به مروراً عابراً، ولا يخصص له عنواناً محدداً، وقد يختلط الكلام عنه بالكلام عن وجوه أخرى للإعجاز.

---

208 - النيف والمنيف: الزائد على غيره. (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، مادة نوف، 973/2).

209- القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، 241/1، تحقيق: حسين عبد الحميد نيل.

وذكره على أنه أحد وجوه الإعجاز القابلة للمناقشة ابن القيم (ت 751هـ) وأورد الاعتراض عليه بوجود كلام مؤثر عند بعض البشر أيضاً[210].

وأشار إليه ابن كثير (ت 774هـ) أثناء حديثه عن وجوه الإعجاز في تفسيره لآيات التحدي[211].

أما الإمام الزركشي (ت 794هـ) فإنه لم يذكره ضمن وجوه الإعجاز الاثني عشر التي ذكرها، إلا أنه أتبعها بتعداد عدة وجوه للإعجاز بدأها بـ "الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم، سواء المقربين والجاحدين، ثم إن سامعه إن كان مؤمناً به يداخله روعة في أول سماعه وخشية، ثم لا يزال يجد في قلبه هشاشة[212] إليه ومحبة له، وإن كان جاحداً وجد فيه مع تلك الرهبة نفوراً وعِيّاً لانقطاع مادته بحسن سمعه..."[213].

وتبعه السيوطي (ت 911هـ) حيث نقل كلام القاضي عياض تحت عنوان: روعته وهيبته[214].

210- ابن القيم، الفوائد المشوق، 250.

211- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 109/1.

212- أي انشراح الصدر والسرور به (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، مادة هشش، 996/2).

213- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، 106/2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

214- السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، 243/1، تحقيق: علي محمد البجاوي.

كما تحدث عنه الزرقاني (ت 1367هـ /1948م) تحت عنوان: تأثير القرآن ونجاحه، وأنه أمر: "أدركه ولا يزال يدركه كل من قرأ القرآن في تدبر وإمعان ونصفة، حاذقاً لأساليبه العربية..."[215].

وأطلق محمد فريد وجدي (ت 1373هـ /1954م) على هذا النوع من الإعجاز اسم: الروحانية العالية[216].

ولمح إليه النورسي (ت 1379هـ/1960م) في قوله: "إن سراً من أسرار إعجاز القرآن الكريم المعنوية هو أن القرآن يبين الدرجة العظيمة والساطعة لإيمان الرسول الأعظم ρ الذي حظي بتجلي الاسم الأعظم، وكذا يبين ويُعلم بأسلوب فطري – كخارطة مقدسة مشهورة – تلك المرتبة السامية للدين الحق العظيم والواسع والمبين للحقائق الرفيعة لعالم الآخرة وعالم الربوبية، وكذا يمثل القرآن الكريم: خطاب رب العالمين وهو في علياء عزته وعظمته وربوبيته المطلقة، فلا بد أن تعبيراً فرقانياً بهذا الأسلوب، وبياناً قرآنياً

215- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، 303/2. وستأتي عبارته بتمامها في المبحث الثالث.

216- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي، 678/7.

بهذا النمط لا يمكن أن تأتي مثله عقول البشر قاطبة ولو اجتمعت في عقل واحد..."[217].

وقد تولى تفصيل هذا الإيجاز من النورسي وتوضيحه وتعميق فكرته الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، في كتابه المميز: من روائع القرآن، فقد توسع في الحديث عنه وتقريره بعبارات جميلة مؤثرة، وذلك تحت عنوان: مظهر جلال الربوبية[218]، مبيناً فيه أثر القرآن البالغ في قارئ الآيات التي يتحدث فيها رب العزة والجلال عن نفسه وقدرته وعلمه، بما لا يستطيع أي مدع للألوهية أن ينطق به "وليقم أي فرعون من الفراعنة المتألهين أو المتجبرين، ثم ليجرب أن ينطق بمثل هذا الكلام الذي يتنـزل من عرش الربوبية، ويغمر النفس بالرهبة والجلال، فإن لسانه سيدور في فمه على غير هدى، وإذا تكلم فسيأتي بكلام يكشف بعضه بعضاً، فيه محاولة التمثيل، وليست فيه صنعته، إذ هو مما لا يسلس القياد فيه لتصنع ولا لتمثيل ..."[219]

وكان أمين الخولي (ت 1385هـ/1966م) يرى للإعجاز النفسي عدداً من المعاني، أحدها: وقع القرآن في النفس، ومنها: استخدام القرآن علمه عن طبيعة النفس البشرية

217- بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص 242 ترجمة: إحسان قاسم الصالحي.

218- الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ص 156-161.

219- البوطي، من روائع القرآن، ص 159.

ومعرفته بشئونها المختلفة ونواميسها التي تخضع لها لتأييد دعوته وحجته[220].

وذهب عدد من العلماء والباحثين إلى تسمية هذا الوجه من الإعجاز بأسماء أخرى، فهذا سيد قطب (ت 1386هـ/1966م) في أكثر من كتاب من كتبه يدور في فلك هذا الوجه الإعجازي ويتحدث عنه بإسهاب وإشباع، ويسميه أحياناً: سحر القرآن، أو: التصوير الفني، وهو في جميع ما كتب عن تأثير القرآن في النفوس وما يدخلها منه من روعة وتأثر إنما يزيد فكرة الإعجاز النفسي جلاءً ووضوحاً وتثبيتاً وتأكيداً، وإن لم يستعمل هذا الاسم في مؤلفاته، ومن المؤلفين من استخدم مصطلح: موسيقى القرآن[221].

وذكره عبد الكريم الخطيب (ت 1406هـ/1985م) تحت عنوان: روعة القرآن وسطوته وقال إنه: "روح يلبس جسد الكلمات، وينتظم حروفها، فيجعل من العبارة الواحدة سخوصاً قائمةً، تعمل متساندة بكل قواها وجوارحها على إشعاع المعنى المنتصب في جوهرها، وتمثيله على مسرح

220- نقله عنه: نعيم الحمصي في: فكرة إعجاز القرآن، ص 339.

221- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 183 و184، تحقيق: عبد الله المنشاوي، وسيد قطب، التصوير الفني في القرآن، 86-96، ود. محي الدين رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ص 22. ود. صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 166.

الحياة، ونقله إلى مواطن الإقناع من العقل، وإلى مجرى التأثير في الوجدان"[222].

وقام عدد من المتأخرين بالبحث في مدلول الإعجاز النفسي، وتحديد مجالاته، وممن بحث في ذلك محمد متولي الشعراوي (ت 1419هـ/1998م) وهو يرى أن الإعجاز النفسي يتمثل في تمزيق القرآن حواجز غيب النفس[223].

ويرى الدكتور صلاح الخالدي أن للإعجاز النفسي جانبين: "الأول: حديث القرآن عن النفس الإنسانية وبيانه لصفاتها، وتحليله لها، وكشفه لخباياها وخفاياها، الثاني: تأثير القرآن في النفس الإنسانية سواء كانت مؤمنة أو كافرة، وما ينتج عن هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات"[224].

وذهب الدكتور فضل حسن عباس إلى أن حديث القرآن عن النفس الإنسانية، سواء من حيث طبيعتها المزدوجة لأنها مادة وروح، أم من حيث استعدادها المزدوج للخير والشر، وما يتفرع عنه، ليس من الإعجاز النفسي في شئ، إنما هي معلومات عن النفس الإنسانية، فيها تصوير وتحذير، وحث على الخير، وتنفير من الشر"[225]، ويرى أن الإعجاز النفسي

222- عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، ص 185.

223- محمد متولي الشعراوي، المعجزة القرآنية، 108/1.

224- د. صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص 334.

225- د. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص 343و 344.

هو: "ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم وما يحزنهم، ما نجده من بيان لمكنونات النفس وخفاياها، ودوافعها في آي القرآن الكريم، قد يكون ذلك في القصة القرآنية، وقد يكون ذلك في الحديث عن أعداء المسلمين، وقد يكون ذلك في الدنيا، وقد يكون في الآخرة كذلك، فإنك لتقرأ الآية من القرآن الكريم، وإذ بها تصور نفسية أولئك الذين تتحدث عنهم صورة واضحة المعالم، بينة الاتجاه، لا تهمل جزئية، ولا تنسى مشهداً"[226]، أما تأثير القرآن العظيم في النفوس وما يسبغه عليها من هيبة وحلاوة ورغبة ورهبة فيرى أنه: الإعجاز الروحي[227].

يتبين لنا بعد هذه الجولة بين نصوص عدد من السادة العلماء، أن منهم من اكتفى بالحديث عن هذا اللون من الإعجاز، دون البحث في تسميته أو في معناه، وذلك عند المتقدمين غالباً، واختلفت الأسماء المطلقة عليه عند باقيهم بين: روعة القرآن وهيبته وتأثيره وسحره، ونحوها من الأسماء، إلا أن أكثر هذه الأسماء تداولاً وشهرةً بين المؤلفين

226- د. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص 344.

227- د. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص 345.

والباحثين والمفكرين والعامة، هو: الإعجاز النفسي[228]، والمراد به عند معظمهم: التأثير العظيم الذي يحدثه القرآن الكريم في نفوس قارئيه وسامعيه، وإن خالف بعضهم في اسمه، أو زاد عبارات تزيده وضوحاً أو تحديداً، أو أدخل في هذا النوع من الإعجاز جوانب أخرى قريبة منه حصل فيها نزاع هل تنضوي تحت اسم الإعجاز النفسي أو لا، مثل: حديث القرآن عن النفس الإنسانية، الذي يمكن إدراجه ضمن وجه آخر من وجوه الإعجاز.

فالإعجاز النفسي يعني: عجز الكافرين أن يأتوا بكلام مثل القرآن في بلاغته وبيانه، وفي تأثيره العظيم في نفوس قارئيه وسامعيه، وبهذا يظهر لنا أن تأثير القرآن الكريم في النفوس يرتقي ويتفوق ويتميز عن تأثير غيره من كلام الأدباء والفصحاء والشعراء وغيرهم، فأي كلام آخر لا يمكن أن تصل درجة تأثيره إلى درجة تأثير القرآن، ومعظم تلك التأثيرات سلبية تؤدي إلى السقوط والهوي والانحدار، بخلاف تأثير القرآن إيجاباً ورقيّاً، كما أن تأثير تلك الأعمال لحظي سرعان ما تنمحي وتزول آثاره، بخلاف تأثير القرآن الكريم الممتد أثره.

228- يُنظر مثلاً: محمد الغزالي، نظرات في القرآن، ص 120. ود. خليفة العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص 34، ود. علي البدري، حقائق وأباطيل حول إعجاز القرآن، ص 155.

المبحث الثاني

أدلة الإعجاز النفسي

مقصود هذا المبحث إيراد النصوص المؤكدة لهذا الوجه من وجوه الإعجاز، والتي تحمل في طياتها إشارات مباشرة، أو تلميحات يسيرة، وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: في إيراد أدلة الإعجاز النفسي من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، مع التعليق عليها بإيجاز، وبما يظهر ما فيها من إشارة إلى الإعجاز النفسي أو تلميح إليه، وهو المطلب الأهم في هذا المبحث.

المطلب الثاني: في إيراد عدد من الحوادث التي تدل على عظيم تأثير القرآن الكريم في سامعيه وقارئيه، ومنها حوادث إسلام عدد من الصحابة الكرام وغيرهم، وهذه الحوادث ليست أدلة، ولكنها شواهد على الإعجاز النفسي، وحوادث مؤكدة له.

المطلب الأول:

ورد في عدد من الآيات بيان عظيم تأثير القرآن الكريم في النفوس، ومن هذه الآيات قوله تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) الآية 21 من سورة الحشر. تبين هذه الآية أن القرآن لو خوطبت به الجبال مع

تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولتشققت[229]، وهي دعوة موجهة لأصحاب العقول والقلوب أن يتأثروا مثل هذا التأثر.

وفي آية أخرى قوله سبحانه: (وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ للهِ الأَمْرُ جَمِيعاً) الآية 31 من سورة الرعد. هذا ما يصنعه القرآن في هذه المخلوقات، "ولقد صنع هذا القرآن في النفوس التي تلقته وتكيفت به أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى، لقد صنع في هذه النفوس وبهذه النفوس خوارق أضخم، وأبعد آثاراً في أقدار الحياة، بل أبعد أثراً في شكل الأرض ذاته، فكم غيّر الإسلام والمسلمون من وجه الأرض، إلى جانب ما غيّروا من وجه التاريخ، وإن طبيعة هذا القرآن ذاتها، طبيعته في دعوته وفي تعبيره، طبيعته في موضوعه وفي أدائه، طبيعته في حقيقته وفي تأثيره، إن طبيعة هذا القرآن لتحتوي على قوة خارقة نافذة، يحسها كل من له ذوق وبصر وإدراك للكلام، واستعداد لإدراك ما يوجه إليه ويوحي به..."[230]

229- يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 44/18.

230- سيد قطب، في ظلال القرآن، 96/5.

ومن الآيات قوله تعالى: (اللهُ نَزَّلَ أحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلَى ذِكْرِ اللهِ) الآية 23 من سورة الزمر. وقوله: (إنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) الآية 2 من سورة الأنفال. وقوله: (إذا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) الآية 58 من سورة مريم. وقوله: (إنَّ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إذا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً . وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً) الآيات 107-109 من سورة الإسراء. تشير هذه الآيات الكريمات إلى أن تأثير القرآن الكريم في المؤمنين يؤدي إلى أن تقشعر جلودهم وهي حركة غير إرادية تدل على عظيم التأثر، ثم تلين جلودهم وقلوبهم وتطمئن بذكر الله (ألاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) الآية 28 من سورة الرعد. كما تؤدي إلى أن يخروا سجداً وهي حركة إرادية، تابعة لتأثر القلب وانفعاله إلى درجة حمل الجسد على السجود، ومعنى خرّ: "سقط سقوطاً يسمع منه صوت خرير، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علوّ، فاستعمال الخر للسجود تنبيه على اجتماع أمرين: السقوط، وحصول الصوت منهم

بالتسبيح"[231] وهو كناية عن: "غاية الوله والخوف والخشية"[232].

ومن الآيات قوله تعالى: (وَإِذا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) الآية 83 من سورة المائدة. ورد أنها نزلت في نفر من نصارى الحبشة قدموا على رسول الله ρ فلما سمعوا القرآن أسلموا، وقيل نزلت في النجاشي وأصحاب له أسلموا معه[233]، وفيض العين من الدمع: امتلاؤها منه ثم سيلانه منها كفيض النهر من الماء، وفيض الإناء وهو سيلانه من شدة امتلائه، ففيض دموعهم لمعرفتهم بأن الذي يتلى عليهم من كتاب الله الذي أنزله على رسوله حق[234]، وإسماع الكافر كلام الله رجاء أن يتأثر به ويؤمن أمر مطلوب من المؤمنين، فمجرد سماع القرآن يمكن أن ينقل المرء من الشرك إلى الإيمان: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ

231- الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة خرر، ص 144.

232- الفخر الرازي، التفسير الكبير، 58/21، والوله: شدة الفرع، والحزن، والحيرة (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، مادة وله، 1069/2).

233- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 1/7، وابن هشام، السيرة النبوية، 489/1، تحقيق: مجدي فتحي السيد.

234- يُنظر: الطبري، جامع البيان، 5/7.

الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) الآية 6 من سورة التوبة.

ومن الآيات قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) الآية 26 من سورة فصلت. وهذا الحرص منهم على عدم سماع القرآن إلى درجة أن يوصي بعضهم بعضاً بذلك وبأن يلغوا فيه أي: "ارفعوا أصواتكم ليتشوش القارئ له، أو: الغوا فيه بالمكاء والتصدية والتصفيق والتخليط في الكلام حتى يصير لغواً، أو: قَعُوا فيه وعيبوه"[235]، وهذا دليل على عظيم تأثير الآيات الكريمة فيهم، وقد يكون ذلك إلى درجة: (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً) الآية 46 من سورة الإسراء. وكان للاستماع للآيات الكريمة تأثير على الجن (فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ) الآيتان 1،2 من سورة الجن. وبلغ بهم أن اجتمعوا للاستماع إلى تلاوة رسول الله ρ حتى (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً) الآية 19 من سورة الجن. أي متلاصقاً بعضهم ببعض من التزاحم عليه إعجاباً بما تلا من القرآن[236].

235-الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، 514/4.

236- ينظر: الراغب الأصبهاني، المفردات، مادة لبد، ص 446، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 353/8.

وفي قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) الآية 51 من سورة العنكبوت. دلالة على أن القرآن آية فوق الكفاية، وهو المعجزة الباقية العامة لكل الخلق: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) الآية 88 من سورة الإسراء.

فهذه الآيات الكريمة تحمل في ثناياها بما لا يقبل مجالا للشك أو التردد إثبات تأثير القرآن العظيم في الخلق كله، حتى الجمادات من أرض وجبال، فضلا عن المكلفين من جن وإنس، مؤمنين وكافرين.

ومن الأحاديث ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ρ: اقرأ عليّ، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: (فَكَيْفَ إذا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً) الآية 41 من سورة النساء. قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[237]، فهذا رسول الله ρ يصل به التأثر عند سماعه آيات القرآن الكريم إلى أن تذرف عيناه الشريفتان، وقام ρ الليل مرة بآية بقي يرددها

237-رواه البخاري في كتاب التفسير، باب 88، رقم الحديث 4306، ومواضع أخرى، بترقيم واعتناء د. مصطفى ديب البغا، ورواه الترمذي والنسائي وأحمد.

ويتفكر فيها ويتأمل في معناها حتى أصبح، وهي قوله تعالى: (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الآية 118 من سورة المائدة[238].

عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس[239]، فسكت وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجترّه[240] رفع رأسه إلى السماء فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدّث النبي ρ بذلك، فقال: أتدري ما ذاك؟ قال: لا يا رسول الله، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم[241]، أي أن الملائكة لاستغراقها بالاستماع إلى قراءة أسيد الحسنة وتأثرها بالآيات لو بقي يقرأ إلى الصباح لبقيت على حالها

---

238 - رواه ابن ماجه وأحمد والحاكم.

239- أي اضطربت اضطرابا شديداً (من هامش صحيح البخاري، وضعه د. مصطفى البغا 1916/4).

240- أي أخره وأبعده عن المكان الذي كان فيه (المرجع السابق).

241- رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، رقم الحديث 4730، ورواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، 322/6 من شرح النووي، بتحقيق: خليل مأمون شيحا.

الذي يمكن أن ترى فيه من قبل القارئ وغيره[242]، وفيه تأكيد حصول التأثر بالاستماع إلى الآيات.

المطلب الثاني:

وفيه إيراد عدد من الحوادث الدالة على عظيم التأثر عند تلاوة الآيات أو الاستماع إليها، وأن ذلك كان سببا لإسلام عدد من الصحابة الكرام ومن بعدهم، وأن التأثر بالآيات لم يكن خاصا بالعرب، أو من يتقن اللغة العربية، ولكنه تعداهم إلى غيرهم ممن لا يعرف شيئاً من لغة العرب، بل تعدى الإنسان إلى غيره من سائر المخلوقات.

ومن أشهر هذه الحوادث حادثة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد أورد ابن هشام في سبب إسلام عمر روايتين[243]، وفي كلتيهما يعود سبب إسلامه إلى تأثره البالغ بقراءة آيات، وهي فواتح سوره طه، أو بالاستماع إلى تلاوة رسول الله ρ لآيات من سورة الحاقة، وقال ابن إسحاق معلقاً وغير مرجح بين الروايتين: "فالله أعلم أي ذلك كان"[244] وجمع بعض الكتاب في السيرة بينهما بأن عمر استمع أولا إلى تلاوة النبي ρ لسورة الحاقة فوقع الإسلام في قلبه، ثم

242- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، 64/9.

243- ابن هشام، السيرة النبوية، 431/1، وقال محققه عن حديث الرواية الأولى: حسن، والثانية: مرسل، وقد روى الحادثة الثانية الإمام أحمد في المسند، برقم 107.

244- ابن هشام، السيرة النبوية، 437/1.

حصلت معه حادثة قراءته من أول سورة طه فتأثر بها وأسلم[245]، وكان عمر بعد إسلامه شديد التأثر بالقرآن، ومما يروى في ذلك أنه صلى الصبح فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته، وسُمع صوت بكائه من وراء الصفوف[246]، وروي أنه سمع قارئاً يقرأ: (إنَّ عَذابَ ربِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ) الآيتان 7-8 من سورة الطور. فأغشي عليه وحمل إلى أهله ولم يزل مريضاً شهراً[247].

وحادثة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه حين قدم مكة وأقنعه كبراء قريش بأن لا يسمع لرسول الله ρ ولكنه عند الكعبة سمع بعض تلاوة النبي ρ فتبعه إلى بيته وسمع منه المزيد، وقال: "فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت"[248].

245- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 120و 121.

246- النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص 43.

247- أورده القرطبي في التذكار في أفضل الأذكار، ص 133، تحقيق: ثروت محمد نافع، وأورده ابن كثير في تفسيره نقلاً عن ابن أبي الدنيا عن جعفر بن زيد العبدي (ينظر: مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، 389/3).

248- ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 478/1، وعلّق محققه بأنه ضعيف، ورواه من طريق ابن هشام: أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ص 311، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، وفي هامشه: أورده البيهقي والسيوطي في الخصائص وابن الأثير في النهاية، وابن سعد بسند آخر.

وحادثة إسلام جبير بن مطعم رضي الله عنه وفيها قوله: "سمعت النبي ρ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَ يُوقِنُونَ.أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ) الآيات 35-37 من سورة الطور. كاد قلبي أن يطير"[249]، وفي رواية: "وذلك أول ما دخل الإيمان قلبي"[250].

وحادثة إسلام أبي ذر رضي الله عنه، وفيها أن أخاه أنيساً قال له: "لقيت رجلاً بمكة يزعم أن الله أرسله، يقولون، شاعر، كاهن، ساحر، - وكان أنيس أحد الشعراء – لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون"، فأتى أبو ذر مكة وسمع من رسول الله ρ وأسلم[251].

وحادثة إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما، حيث قرأ عليهما مصعب بن عمير رضي الله عنه

249- رواه البخاري، في كتاب التفسير، رقم الحديث 4573.

250- السيوطي، معترك الأقران، 243/1.

251- رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، برقم 6309، وقال النووي بهامشه عن أقراء الشعر: أنواعه وطرقه.

منفردين القرآن، وكانا يقولان: ما أحسن هذا الكلام وأجمله، وأسلما[252].

وحادثة إسلام سويد بن الصامت رضي الله عنه وكان شاعراً لبيباً من سكان يثرب، يسميه قومه الكامل، لجلّده وشعره وشرفه ونسبه، "جاء مكة حاجاً أو معتمراً، فدعاه رسول الله ρ إلى الإسلام، فقال: لعل الذي معك مثل الذي معي؟ فقال له رسول الله ρ وما الذي معك؟ قال: حكمة لقمان، قال: اعرضها عليّ، فعرضها، فقال له رسول الله ρ: إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليّ، هو هدى ونور، فتلا عليه رسول الله ρ القرآن، ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وقال: إن هذا لقول حسن"[253].

وحادثة إسلام إياس بن معاذ رضي الله عنه وكان غلاماً من سكان يثرب، قدم مكة في وفد من الأوس، جلس إليهم النبي ρ وتلا عليهم القرآن، فقال إياس: "أي قوم هذه والله خير مما جئتم له"... ولم يلبث إياس بعد رجوعهم أن هلك

252- ابن هشام، السيرة النبوية، 2/52-54، قال محققه: إسناده مرسل.

253- المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 155.

وكان يهلل ويكبر ويحمد ويسبح عند موته فلا يشكون أنه مات مسلماً[254].

وحادثة إسلام أول ستة من الخزرج، حيث حدثهم الرسول ρ وتلا عليهم القرآن فأسلموا[255].

وتوقُّف لبيد بن ربيعة رضي الله عنه عن نظم الشعر بعد أن أذهله عظمة القرآن وبلاغته، وكان يقول: "ما كنت لأقول الشعر بعد أن علمني الله سورة البقرة"[256].

وفي المحاورة التي حصلت بين النجاشي وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، طلب النجاشي من جعفر أن يقرأ عليه، فقرأ صدراً من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته[257]، وبكى أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم[258].

وفي عدد من الروايات بيان مدى التأثر الذي كان يحصل للمشركين، وهم يستمعون إلى الآيات، ويصل ذلك ببعضهم

254- ابن هشام، السيرة النبوية، وقال محققه، حديث حسن، والمباركفوري، الرحيق المختوم، ص 155.

255- ابن هشام، السيرة النبوية، 45/2، وإسناده مرسل، وابن كثير، البداية والنهاية، 148/3، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم ورفاقه.

256- د. محمد حسن هيتو، المعجزة القرآنية، ص 43.

257- أي ابتلت من كثرة نزول الدمع عليها (من تعريف محقق سيرة ابن هشام للفظ).

258- ابن هشام، السيرة النبوية، 424/1، وقال محققه: حديث حسن.

إلى درجة القيام من المجلس مع تغير الوجه، وإلى إخلاف الوعد بعدم سماع الآيات مرة أخرى، ومن ذلك:

حادثة عتبة بن ربيعة حين "أرسله الملأ من قريش إلى النبي ρ ليعرض عليه المال والسيادة والملك والعلاج إن كان يحتاجه... حتى إذا فرغ مما جاء به، قرأ عليه النبي ρ من أول سورة فصلت، وعتبة منصت قد ألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، حتى انتهى رسول الله ρ إلى السجدة [الآية 37] فسجد، ثم قال: "قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك" فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة.... قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد[259]، وفي رواية أن النبي ρ عندما بلغ في التلاوة قوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) الآية 13 من سورة فصلت. قام عتبة فأمسك على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، فلما رجع إليهم وجدوه متغيراً فقالوا: قد صبأ إلى محمد. وقص عليهم خبره، وما

259- ابن هشام، السيرة النبوية، 370/1، وقال محققه: الحديث حسن، وأخرجه البيهقي، في دلائل النبوة 201/2، تعليق د. عبد المعطي قلعجي، والجرجاني، في الرسالة الشافية، ص 124.

وقع من الرعب في قلبه من القراءة، ومما قاله: قد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب"[260].

حادثة الوليد بن المغيرة حين اجتمع إليه نفر من قريش، وأرادوا أن يُجمعوا على رأي واحد في النبي ρ حتى لا يكذبهم الناس فيه، وترددوا في الحكم عليه بالكهانة أو بالسحر أو بالجنون أو بأنه شاعر، وكان رأي الوليد أن كلام محمد ρ لا يشبه شيئاً من ذلك، وقال لهم: "والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته"[261]، وفي رواية أن الوليد قال للنبي ρ اقرأ عليّ، فقرأ عليه: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) الآية 90 من سورة النحل. قال: أعد، فأعاد النبي ρ فقال: "والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر"[262].

260- رواه البيهقي، دلائل النبوة 203/2، وأبو نعيم، دلائل النبوة، ص 300، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية، 61/3، وأورده السيوطي في معترك الأقران، 243/1.

261- ابن كثير، البداية والنهاية، 95/3، والطلاوة: الحسن والرونق، ومغدق: كثير، يقال: أغدق المطر: كثر قطره، وأغدقت الأرض: أخصبت (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، 570/2 و652).

262- البيهقي، دلائل النبوة، 199/2، والجرجاني، الرسالة الشافية، ص 123.

حادثة أبي سفيان وأبي جهل والأخنس بن شريق حين خرج كل منهم منفرداً ليستمع إلى قراءة النبي ρ وهو يصلي ليلاً في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، والتقوا وهم عائدون، فتعاهدوا أن لا يعودوا، إلا أنهم عادوا ليلة ثانية وثالثة، ثم تعاهدوا جازمين أن لا يعودوا....[263].

حادثة منع المشركين أبا بكر الصديق رضي الله عنه من الصلاة والتلاوة في المسجد الحرام لما كان لتلاوته وبكائه في الصلاة من التأثير الجاذب إلى الإسلام، فاتخذ مسجداً له بفناء داره، فطفق النساء والأولاد الناشئون ينسلون من كل حدب إلى بيته ليلاً لاستماع القرآن، فنهاه المشركون وألجؤوه إلى الهجرة، فلقيه ابن الدغنة فأجاره. فعاد يقرأ في داره، وبنى مسجداً بفناء داره يصلي ويقرأ فيه، وخيره ابن الدغنة – بضغط من قريش – بين إخفاء تلاوته وجواره، فقال أبو بكر: "فإني أَرُدُّ إليك جوارك، وأرضى بجوار الله"[264]، وقد اشتُهر أبو بكر رضي الله عنه بالبكاء والتأثر عند تلاوة القرآن، وحين أوصى النبي ρ في مرضه أن

263- يُنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 397/1، قال محققه: ضعيف لانقطاع إسناده، وبسنده رواه البيهقي في الدلائل 206/2، وابن كثير في البداية والنهاية 62/3.

264- رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب 74، رقم الحديث 3692، وابن هشام في السيرة النبوية 466/1، والبيهقي في الدلائل، 471/2، وابن كثير في البداية والنهاية، 91/3.

يصلي أبو بكر بالناس، قالت له عائشة: "إن أبا بكر رجل أسيف إذا قرأ القرآن غلبه البكاء" وفي رواية: "إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء"[265].

أما الحوادث الواقعة بعد عصر النبوة فهي من الكثرة بمكان، وقد حفظت لنا كتب الإعجاز وفضائل القرآن وغيرها[266] مجموعة من الحوادث التي تبين مدى التأثر البالغ والانفعال العفوي لدى تلاوة الآيات أو الاستماع إليها، وفيما يلي مجموعة منها، روعي في اختيارها: الجمع بين القديم والحديث، وإيراد حوادث تتعلق بغير المسلمين، وبمن أسلم لسماع القرآن أو تلاوته، وبمن عزم على معارضة القرآن، ثم عدل عن ذلك بسبب تأثره بالآيات، كما روعي عدم ذكر الحوادث التي فيها مبالغة:

265- رواه البخاري في كتاب الجماعة، باب حض المريض أن يشهد الجماعة، رقم الحديث 633، ورواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام، رقم الحديث 940، وأسيف: أي رقيق القلب سريع البكاء (من هامش البخاري).

266- يُنظر: النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص 41-45، والقرطبي، التذكار، ص 124-135، وعبد الله سراج الدين، تلاوة القرآن المجيد فضائلها آدابها خصائصها، ص 83-87، وحيدر قفة، مع القرآن الكريم، ص 203-254.

قدم وفد من نجران على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في شئ من أمورهم، فأمر من يقرأ القرآن بحضرتهم فبكوا بكاءً شديداً، فقال أبو بكر: "هكذا كنا حتى قست القلوب"[267].

سمع أعرابي قوله تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) الآية 94 من سورة الحجر. فسجد وقال: "سجدت لفصاحته"[268].

روي أن نصرانياً مرّ بقارئ فوقف يبكي، فقيل له: ممّ بكيت؟ فقال: "للشجا والنظم"[269].

سمع الأصمعي كلاماً فصيحاً من جارية، فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك، فقالت: "أوَ بعد قوله تعالى فصاحة: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) الآية 7 من سورة القصص. فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين"[270].

267- الجاحظ، البيان والتبيين، 151/3، تحقيق عبد السلام هارون، والنووي، التبيان، ص 43، وأورده د. خليفة العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص 46.

268- أورده د. خليفة العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص 56.

269القاضي عياض، الشفا، 241/1، والسيوطي، معترك الأقران، 242/1، والشجا: الطرب وتهييج الحزن والشوق (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، 476/1) وقد تحرف اللفظ في معترك الأقران إلى: للشجاعة.

270- القاضي عياض، الشفا، 229/1، وعند د. خليفة العسال ص 56 زيادة في تفاصيل الحادثة.

حكي أن ابن المقفع، وكان من أفصح أهل وقته أراد معارضة القرآن وشرع فيه، فمرّ بصبي يقرأ: (وَقِيلَ يَا أرضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَ يَا سَمَاءُ أقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمينَ) الآية 44 من سورة هود. فرجع فمحا ما عمل وقال: "أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر"[271]، وقد رفَض نسبة هذه الحادثة إلى ابن المقفع الرافعي والبوطي[272].

أراد يحيى بن حكم الغزّال بليغ الأندلس في زمنه معارضة القرآن، فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها، وينسج بزعمه على منوالها، قال: "فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة"[273].

حكى النقاش أن أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا له: "أيها الحكيم، اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحلّل

271- القاضي عياض، الشفا، 242/1.

272- الرافعي، إعجاز القرآن، ص 154و155، والبوطي، من روائع القرآن، ص 131-133، ونقل نعيم الحمصي أقوالاً في نسبة معارضة القرآن إلى عدد من الأشخاص ولم يجزم بها، يُنظر كتابه: فكرة إعجاز القرآن، ص 58 و67 و68.

273- القاضي عياض، الشفا، 242/1 .

تحليلاً عاماً ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين[274]، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا"[275].

روى محمد رشيد رضا عن بعض أدباء العرب من غير المسلمين أنهم كانوا يذهبون في بعض ليالي رمضان إلى بيوت معارفهم من المسلمين ليسمعوا القرآن ويمتعوا ذوقهم العربي وشعورهم الروحاني الأدبي بسماع آياته المعجزة[276].

أورد سيد قطب في تفسير سورة النجم استشكالَه حادثة سجود المشركين لما قرأ عليهم النبي ρ سورة النجم وسجد في آخرها وسجدوا معه، وبحثَه عن تعليل لها، فحديث الغرانيق غير مقنع ولا مقبول سنداً ولا متناً[277]، قال: "لقد بقيت فترة أبحث عن السبب الممكن لهذا السجود، ويخطر لي احتمال أنه لم يقع، وإنما هي رواية ذكرت لتعليل عودة المهاجرين من الحبشة بعد نحو شهرين أو ثلاثة، وهو أمر يحتاج إلى تعليل، وبينما أنا كذلك وقعت لي تلك التجربة

274- يقصد الآية الأولى من سورة المائدة.

275- الشوكاني، فتح القدير، 4/2.

276- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (المنار) 169/1.

277- حديث الغرانيق: فيه تعليل سجود المشركين بأقوال بعيدة منها أن الشيطان ألقى في آذان المشركين عبارةً فيها مدح لآلهتهم،وهم يظنونها من جملة الآيات المتلوة فسجدوا، وهو حديث باطل غير صحيح، رده كثيرون، يُنظر مثلاً: ابن الجوزي، زاد المسير، والشوكاني، فتح القدير، 462/3، والغرانيق: جمع غرنوق وهو طائر مائي أبيض طويل الساق جميل المنظر (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، مادة غرنق، 657/2).

الشعورية الخاصة ... كنت بين رفقة نسمر حينما طرق أسماعنا صوت قارئ للقرآن من قريب، يتلو سورة النجم، فانقطع بيننا الحديث لنستمع وننصت للقرآن الكريم، وكان صوت القارئ مؤثراً وهو يرتل القرآن ترتيلاً حسناً، وشيئاً فشيئاً عشت معه فيما يتلوه،... وارتجف كياني تحت وقع اللمسات المتتابعة في المقطع الأخير من السورة... فلما سمعت (فَاسْجُدُوا للهِ وَاعْبُدُوا) كانت الرجفة قد سرت من قلبي حقاً إلى أوصالي، واستحالت رجفة عضلية مادية ذات مظهر مادي، لم أملك مقاومته، فظل جسمي كله يختلج، ولا أتمالك أن أثبته، ولا أن أكفكف دموعاً هاتنة، لا أملك احتباسها مع الجهد والمحاولة، وأدركت في هذه اللحظة أن حادث السجود صحيح، وأن تعليله قريب، إنه كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن، ولهذه الإيقاعات المزلزلة في سياق هذه السورة..."[278].

وذكر سيد قطب حادثة حصلت معه أثناء رحلته البحرية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قام بخطبة الجمعة وأداء الصلاة على متن السفينة مع عدد من ركابها، وكان مشهداً لفت انتباه الآخرين، إلا أن "سيدة من هذا الحشد،

278- سيد قطب، في ظلال القرآن، 636/7 و 637، ومعنى هاتنة: متتابعة (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، مادة هتن، 980/2).

عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية هاربة من جحيم تيتو وشيوعيته، كانت شديدة التأثر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها، جاءت تشد على أيدينا بحرارة، وتقول – في إنجليزية ضعيفة – إنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه وما فيها من خشوع ونظام وروح،... ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول:.... إن الموضوع الذي لفت حسي، هو أن الإمام كانت ترد في أثناء كلامه – بهذه اللغة الموسيقية – فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه، نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً، هذه الفقرات الخاصة كانت تُحدث فيَّ رعشة وقشعريرة، إنها شيء آخر، كما لو كان الإمام مملوءاً من الروح القدس، - حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها – وتفكرنا قليلاً، ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة، وفي أثناء الصلاة، وكانت – مع ذلك – مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة، من سيدة لا تفهم مما نقول شيئاً، وليست هذه قاعدة كما قلت، ولكن وقوع هذه الحادثة، ووقوع أمثالها مما ذكره لي غير واحد ذو دلالة على أن في هذا القرآن سراً آخر تلتقطه بعض القلوب لمجرد تلاوته..."[279].

279- سيد قطب، في ظلال القرآن، 421/4-423 .

وذكرت رئيسة قسم اللغة العربية ببوخارست، أنها كانت في الجزائر لتتعلم اللغة العربية، وصادفها وهي هناك أن كانت في قرية جهة الصحراء، وكان الفصل صيفاً قائظاً، والهواء ساكناً، والذباب منتشرا يطن، يزيد في ضيق الناس، وكان الوقت أصيلاً، وقد ارتفع صوت المذياع بتلاوة أحد المقرئين قبيل ساعة من موعد الإفطار، ولم يلبث بعد أن استقر بها المكان أن زايلها ضيقها وإحساسها بالذباب وبالطقس، وذكرت أنها لم تجد تعليلاً لذلك غير استماعها إلى صوت المقرئ، وقد لاحظت ذلك أيضاً على الناس، حتى الغنم والماعز التي انتشرت أمام المنازل والخيام فقد استكانت هي أيضاً تجتر....[280].

وذكر الأستاذ محمد حنيف الباحث بالموسوعة الفقهية بالكويت أنه ذهب إلى لندن لإلقاء محاضرة في مسجد بها، فوضع المكلفون بتنظيمها شريطاً من القرآن في مكبر الصوت لجمع الناس، وما أن قرئ القرآن وسمعه الناس حتى توافد على المسجد جمع غفير جلسوا يستمعون القرآن كأن على رؤوسهم الطير، ولكن بمجرد أن أغلق مكبر الصوت استعداداً لبدء المحاضرة أخذ الناس ينصرفون، فعجبت من

280- د. محي الدين رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ص 24، وقد ذكر أنه سمع هذا الكلام منها في لقاء أكاديمي معها.

ذلك، وبعد الفراغ سألت إمام المسجد عن هذه الظاهرة، فقال: "ما نكاد نفتح مكبر الصوت في أي وقت على القرآن الكريم حتى يتوافد الناس على المسجد ويجلسون خاشعين رغم أنهم لا يفقهون القرآن، ولكنه يأخذهم بسحره وروعة لفظه وموسيقاه، فإذا انتهت التلاوة قاموا كما جاءوا"[281].

أما الأديب نقولا حنا فقال عن تأثير القرآن فيه: "قرأت القرآن فأذهلني، وتعمقت به ففتنني، ثم أعدت القراءة فآمنت..."[282] وله قصيدة اسمها: من وحي القرآن، في تبيين عظمة إعجازه وتفوقه على سائر المعجزات.

وتكلم عدد من المستشرقين عن تجاربهم الشخصية مع القرآن، ومدى تأثرهم به، ومن ذلك ما قالته فاغليري: "إن هذا الكتاب الذي يتلى كل يوم في طول العالم الإسلامي وعرضه لا يوقع في نفس المؤمن أي حس بالملل، على العكس، إنه من طريق التلاوة المكرورة يحبب نفسه إلى المؤمنين أكثر فأكثر، يوماً بعد يوم، إنه يوقع في نفس من يتلوه أو يصغي إليه حساً عميقاً من المهابة والخشية..."[283].

281- د. خليفة حسين العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص 55 .

282- د. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، ص 202 .

283- د. عماد الدين خليل، قالوا عن القرآن، ص 275، مطبوع بذيل كتاب: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز للنورسي، وفيه تعريف موجز بالذين نقلت عباراتهم.

وقالت كوبولد: "الواقع لأن جمل القرآن وبديع أسلوبه، أمر لا يستطيع له القلم وصفاً ولا تعريفاً، ومن المقرر أن تذهب الترجمة بجماله وروعته، وما ينعم به من موسيقى لفظية لست تجدها في غيره من الكتب..."[284]

وقال لاندو: "...ولكن حتى أفضل ترجمة ممكنة للقرآن في شكل مكتوب لا تستطيع أن تحتفظ بإيقاع السور الموسيقي الآسر على الوجه الذي يرتلها به المسلم، وليس يستطيع الغربي أن يدرك شيئاً من روعة كلمات القرآن وقوتها إلا عندما يسمع مقاطع منه مرتلة بلغته الأصلية"[285].

وقالت هوني: "لن أستطيع مهما حاولت أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام"[286].

وقد ثبت تأثير الآيات على العقل البشري باستعمال الأجهزة الحديثة، ومنها جهاز يقيس الموجات الدماغية بكل دقة، وهي أربع موجات لكل منها سرعة محددة، ففي حالة اليقظة يتحرك المخ بسرعة 13-25 موجة في الثانية، وفي حالة الهدوء النفسي والتفكير العميق والإبداع، يتحرك

284- المرجع نفسه، ص 281 .

285- المرجع نفسه، ص 284 .

286- المرجع نفسه، ص 287 .

بسرعة 8-12 موجة في الثانية، وفي حالة الهدوء العميق والخلود إلى النوم يتحرك بسرعة موجة واحدة في الثانية، وفي حالة النوم العميق يتحرك بسرعة 1/2-3 موجة في الثانية، رأى هذا الجهاز الدكتور نجيب الرفاعي في أحد مؤتمرات التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، واستخدمه بوضع القبعة على رأسه، وقرأ آية الكرسي، وشاهد على شاشة الكمبيوتر انتقال المؤشر من سرعة 25 موجة في الثانية إلى ما يقارب منطقة التأمل والتفكير العميق والراحة النفسية 8-12 موجة في الثانية، واستغرب صاحب الجهاز من هذه النتيجة، فطلب منه صاحب التجربة أن يقرأ على أحد رواد المعرض الذي رحّب بالفكرة، وقرأ عليه آية الكرسي، وكانت النتيجة مذهلة حيث انخفضت موجاته الدماغية بشكل سريع إلى منطقة 8-12 موجة في الثانية، وقال بعد انتهاء القراءة: "لم أفهم منها شيئاً ولكنها ذات نغمات مريحة، لقد أدخلت السرور على قلبي بكلام غريب لم أفهم منه حرفا واحداً، كلام جميل ومريح"[287].

هذه العبارات والحوادث وكثير غيرها، تدل دلالة واضحة على عميق الأثر الذي تتركه الآيات في نفس قارئها

287- د. نجيب عبد الله الرفاعي، مقالة: أثر القرآن على قلوب الأمريكان، في مجلة المجتمع الكويتية، العدد 1206، 16/ صفر/1417هـ 1996/7/2م.

وسامعها، وأنه أمر يمكن حصوله مع المسلم وغير المسلم، بل قد يكون سببا لإسلامه واهتدائه، وأن في القرآن سراً عظيماً يدل على أنه كلام الله المعجز "يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أن هناك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هناك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن، يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً، لكنه على كل حال موجود، هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره: أهو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن فيها؟ أهو الصور والظلال التي تشعها؟ أهو الإيقاع الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة؟ أهي هذه العناصر كلها مجتمعة؟ أم إنها هي، وشئ غيرها غير محدود، ذلك سر مودع في كل نص قرآني يشعر به كل من يواجه هذا القرآن ابتداءً"[288].

288- سيد قطب، في ظلال القرآن، 3399/6.

المبحث الثالث

موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز

الذين ذكروا هذا الوجه من وجوه الإعجاز كانوا متفاوتين في تحديد موقعه بين وجوه الإعجاز الأخرى. فمنهم من عده وجه الإعجاز الأول، ومنهم من عده وجهاً مستقلاً من وجوه الإعجاز، ومنهم من رآه تابعاً لأحد وجوه الإعجاز الأخرى أو مضمناً فيه، وفيما يلي ذكر وتبيين هذه الآراء، ثم محاولة الترجيح بينها أو الاختيار منها.

الرأي الأول: أن الإعجاز النفسي هو الأول بين وجوه الإعجاز، صرح بذلك محمد فريد وجدي (ت 1373هـ/1954م) بعد أن رد القول بأن وجه الإعجاز في البلاغة، بقوله: "وإننا وإن كنا نعتقد أن القرآن قد بلغ الغاية من هذه الوجهة إلا أننا نرى أنها ليست هي الجهة الوحيدة لإعجازه، بل ولا هي أكثر جهات إعجازه سلطاناً على النفس، فإن للبلاغة على الشعور الإنساني تسلطاً محدوداً لا يتعدى حد الإعجاب بالكلام والإقبال عليه، ثم يأخذ هذا الإعجاب والإقبال في الضعف شيئاً فشيئاً بتكرار سماعه، حتى تستأنس به النفس فلا يعود يحدث فيها ما كان يحدثه في مبدأ تواارده عليها، وليس هذا شأن القرآن فإنه قد ثبت أن

تكرار تلاوته تزيده تأثيراً، وتسلطاً على النفس والمدارك، فوجب على الناظر في ذلك أن يبحث عن وجه إعجازه في مجال آخر يكفي لتعليل ذلك السلطان البعيد المدى الذي كان للقرآن على عقول الآخذين به"[289]، ثم انتقل إلى عرض رأيه بقوله: "لما كان القرآن روحاً من أمر الله، فلا جرم كانت له روحانية خاصة، هي عندنا جهة إعجازه، والسبب الأكبر في انقطاع الإنس والجن عن محاكاة أقصر سورة من سوره، وارتعاد فرائص الصناديد والجبابرة عند سماعه، وناهيك بروحانية الكلام الإلهي، نعم إن جهة إعجاز هذا الكتاب الإلهي الأقدس هي تلك الروحانية العالية التي قلبت شكل العالم وأكسبت تلك الطائفة القليلة العدد خلافة الله في أرضه، وأرغمت لهم معاطس الجبابرة والقساورة، ووطأت لهم عروش الأكاسرة والقياصرة حتى صاروا ملوك الملوك وإخوان الملائكة، في مدة لا يصعب عد سنيها على الأصابع (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أمْرِهِ عَلَى منْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) الآية 15 من سورة غافر. لا مشاحة في أن القرآن فصيح قد أخرس بفصاحته فرسان البلاغة وقادة الخطابة وسادات القوافي وملوك البيان، وهو حكيم بهر سماسرة الحكمة والفلسفة، وأدهش أساطين القانون والشريعة، وحير أراكين النظام

289- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، 677/7 .

والدستور، وهو حق ألزم كل غال الحجة، ودل كل باحث على المحجة، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وهو هدى ورحمة ونور وشفاء لما في الصدور، كل هذه صفات جليلة تؤثر على العقل والشعور والعواطف والميول، فتتحكم بها تحكم الملك في ملكه، ولكنه فوق ذلك كله روح من أمر الله تصل من روح الإنسان إلى حيث لا تصل إليه أشعة البلاغة والبيان، ولا سيالات الحكمة والعرفان، وتسري من صميم معناه إلى حيث لا يحوم حوله فكر ولا خاطر، ولا يتخيله خيال شاعر..."[290].

ولا يخفى ما في هذا الكلام من تكلف، وبدلاً من الحمل على القائلين بأن وجه الإعجاز في بلاغة القرآن، ونفي وجود آيات تشير إلى بلاغة القرآن اللفظية[291]، كان يكفيه التوفيق بين الأمرين، وتبيين أن تأثير القرآن بسبب البلاغة الفائقة التي فيه، أو أنهما وجهان بالغا الأهمية في إظهار الإعجاز، فلا يطغى أحدهما على الآخر ولا يرده.

وكان حديث سيد قطب (ت 1386هـ/1966م) عن الإعجاز النفسي كثيراً، وإن لم يطلق عليه هذا الاسم، فعباراته الجذابة في: التصوير الفني، ومشاهد القيامة في

290- المرجع نفسه، ص 677 و 678 .

291- ذكر ذلك في 680/7 .

القرآن، والظلال، حول عظيم تأثير القرآن في النفوس، تصل في مجموعها إلى نتيجة واحدة، وهي: أن القرآن الكريم المعجز مؤثر غاية التأثير في نفوس قارئيه وسامعيه، حتى إنه ليجعل القارئ كأنه في خلال الحدث، يرقبه ويتابعه ويعيش معه، وهو يرى أن هذا الوجه من الإعجاز هو الأول بينها[292]، ولا ينفي سيد قطب وجوه الإعجاز الأخرى، بل إنه يؤكدها في مواضع متعددة، ويثبت أن هذا التصوير المبدع في الآيات ما هو إلا ثمرة نظمه وأسلوبه وألفاظه، فباجتماع هذه الأمور يحصل التأثير به، وفي كلامه عن وجوه الإعجاز تجديد في العبارات وأسلوب العرض، وهو يرى أنها ستة أوجه، وإن لم يتحدث عنها في موضع واحد، فهي مبثوثة في مواضع عدة من الظلال[293].

الرأي الثاني: أن الإعجاز النفسي وجه مستقل من وجوه الإعجاز، وعلى هذا الرأي أكثر العلماء الذين ذكروا الإعجاز النفسي، وفي مقدمتهم الخطابي (ت 388هـ) الذي سماه وجهاً، والقاضي عياض (ت 544هـ) الذي جعله الوجه السادس من وجوه الإعجاز، بعد: حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته، ونظمه العجيب وأسلوبه الغريب، وإخباره عن

292- د. صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 289، ونعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن، ص 348.

293- د. صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص 285-317.

المغيبات، وإخباره عن القرون السالفة والأمم البائدة، وتحديه في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها، وذكر بعده وجوهاً أخرى، منها: بقاؤه على الزمن، وأنه لا يمل مع التكرار والترديد، وجمعه لعلوم ومعارف لم يكن يعرفها العرب من قبل[294].

أما الزركشي (ت 794هـ) فإنه بعد أن ذكر للإعجاز اثني عشر وجهاً، أتبعها بوجوه أخرى، وجعل أولها الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم، سواء المقرين والجاحدين، وإن كان قد نقل قبل ذلك كلام الخطابي في تأثير القرآن ضمن الوجه الحادي عشر[295].

وجعله السيوطي (ت 911هـ) الوجه العشرين من وجوه الإعجاز التي ذكرها، وعددها خمسة وثلاثون وجهاً[296].

وذكر محمد رشيد رضا (ت 1354هـ/1935م) أنه أحد أنواع الإعجاز، وأن من الذين اهتدوا إليه بعض حكماء أوروبا[297].

294- القاضي عياض، الشفا، 227/1-247.

295- الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، 106/2.

296- السيوطي، معترك الأقران، 242/1.

297- محمد رشيد رضا، المنار، 169/1، وأشار إلى أن المقصود بهذا الكلام أحد فلاسفة فرنسا، في كتابه: الوحي المحمدي، ص 100، وعبارة الفيلسوف الفرنسي ذكرها الزرقاني في مناهل العرفان، 307/2.

وعده الزرقاني (ت 1367هـ/1948م) الوجه الرابع عشر من وجوه الإعجاز، وكان آخر الوجوه التي ذكرها، وعلق عليه بقوله: "هذا التأثير الخارق أو النجاح الباهر الذي نتحدث فيه، أدركه ولا يزال يدركه كل من قرأ القرآن في تدبر وإمعان ونصفة، حاذقاً لأساليبه العربية، ملماً بظروفه وأسباب نزوله، أما الذين لم يحذقوا لغة العرب ولم يحيطوا بهذه الظروف والأسباب الخاصة، فيكفيهم أن يسألوا التاريخ عما حمل هذا الكتاب من قوة محولة غيرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك عن طريق استيلائها على قلوب المخاطبين به لأول مرة استيلاءً أشبه بالقهر وما هو بالقهر، وأفعل من السحر وما هو بالسحر، سواء في ذلك أنصاره وأعداؤه، ومحالفوه ومخالفوه، وما ذاك إلا لأنهم ذاقوا بسلامة فطرتهم العربية بلاغته، ولمسوا بحاستهم البيانية إعجازه، فوجد تياره الكهربائي موضعاً في نفوسهم لشرارة ناره، أو لهطول غيثه، وانبلاج أنواره"[298].

وعد الدكتور البوطي: مظهر جلال الربوبية، الوجه الرابع والأخير من وجوه الإعجاز، وأكد بطريقة غير

298- الزرقاني، مناهل العرفان، 303/2 .

مباشرة أن من يراعي هذا الأمر ويلتفت إليه فلا بد حتماً أن يتأثر بالآيات ويكون لها في نفسه وقع وأثر[299].

وعده الدكتور صلاح الخالدي الوجه الرابع والأخير من وجوه الإعجاز، وبين أن له جانبين، وبحث في سر تأثير القرآن في النفوس[300].

وجعله عبد المنعم درويش الوجه الثامن والعشرين بين واحد وثلاثين وجهاً[301].

وذكر عدد من المشاركين في المؤتمر الأول للإعجاز القرآني، هذا الوجه على أنه أحد وجوه الإعجاز، فذكره الدكتور عبد الرزاق اسكندر[302]، وجعله الدكتور عبد الستار حامد الوجه الثالث من وجوه الإعجاز[303]، وجاء في توصيات المؤتمر: "إن الإعجاز القرآني لا يحده حد محدود أو مظهر معين أو زمن معين، فهو معجز في نظمه، وفي ترتيب حروفه، وإيقاع كلماته بما يثير من إحساس يلائم المعنى المقصود..."[304].

299- د. محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، 156 و 160.

300- د. صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص 331-351.

301- عبد المنعم فرج درويش، اللؤلؤ والمرجان في التنبيه على إعجاز القرآن، ص 207.

302- كتاب: الإعجاز القرآني، بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني، المعقود بمدينة السلام بغداد، في 1410هـ 1990م، ص 313.

303- المرجع السابق نفسه، ص 326 و 327 .

304-المرجع السابق نفسه، ص 696.

الرأي الثالث:أن الإعجاز النفسي تابع لأحد وجوه الإعجاز ولا يعد وجها مستقلاً بذاته، وقد ذكر ذلك عدد من المؤلفين.

فمن هؤلاء الرافعي (ت 1356هـ/1937م) حيث أورد إشارات متعددة حول هذا النوع من الإعجاز في ثنايا كلامه عن مفردات القرآن ونظمه وبلاغته، فلم يفرده بالذكر ولم يخصه بعنوان مميّز[305].

وكذلك في كلام محمد عبدالله دراز (ت 1377هـ/1958م) عبارات متفرقة وإشارات عن تأثير القرآن في النفس[306].

أما بديع الزمان سعيد النورسي (ت 1379هـ/1960م) فلم يعده وجهاً مستقلا كذلك، وأشار إليه إشارة عابرة، وجعله أحد ثلاثة أسس تشكل بمجموعها سراً من أسرار الإعجاز المعنوية[307]، كما أشار إليه في ذيل رسالة المعجزات

305- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 23 و91 و97 و134 و181 و184 و228.

306- محمد عبدالله درز، النبأ العظيم، ص 102 و113-116.

307- بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص 242، هامش2، ومن اللطيف أني كنت قد أعددت بحثاً عن وجوه الإعجاز عند النورسي شاركت به في المؤتمر العالمي الذي عقد في استانبول عام 1995م، وضمنته عبارة النورسي التي أشار فيها إلى الإعجاز النفسي، وعلقت عليها بعبارة وكانت آخر ما في البحث: "إن حديث النورسي عن هذا الوجه من الإعجاز كان في غاية الاختصار، وعلى أنه أحد ثلاثة أسس تشكل بمجموعها سراً من أسرار الإعجاز المعنوية، وهو وجه حري بالدراسة والتأمل والتوسع في الحديث عنه" [ص 308 من كتاب:

القرآنية، بقوله: "إن القرآن الكريم قد بدل الحياة الاجتماعية تبديلا هائلاً نوّر الآفاق وملأها بالسعادة والحقائق، وأحدث انقلاباً عظيماً في نفوس البشر وفي قلوبهم..."[308].

وتحدث عبد الكريم الخطيب (ت 1406هـ/1985م) عن روعة القرآن وسطوته، على أنه أحد الأمور الظاهرة جداً فيه، وهو يرى أن وجوه الإعجاز أربعة: الصدق المطلق، وعلو الجهة المنزل منها القرآن، وحسن الأداء، وروحانية القرآن، فهو لا يرى أن تأثير القرآن في النفوس وسلطانه على القلوب أحد وجوه الإعجاز، وإن كان مفهوماً من كلامه اندراجه ضمنها، ودخوله تحت لوائها[309].

وضمنت بنت الشاطئ الإشارة إليه في ثنايا حديثها عن الإعجاز البياني[310].

وأفرد الدكتور فضل حسن عباس للإعجاز النفسي والإعجاز الروحي عنواناً، وهو يفرق بينهما – كما سبق – ورجح أنه تابع للإعجاز البياني في قوله: "نحن لا ننكر تأثير

المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي] وها أنا أعود إليه بالدارسة والتوسع في الحديث عنه.

308- النورسي، المعجزات القرآنية، ص 167، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي.

309- عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، ص 185-246، وحديث الخطيب عن روحانية القرآن ليس كحديث محمد فريد وجدي عنه.

310- عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق، ص 46.

القرآن على النفوس، فتلك قضية بدهية، ولكن الذي نناقشه هنا أن نعد هذا الوجه وجهاً منفصلاً عن بيان القرآن وبلاغته وبديع نظمه، وإذن فنحن ننكر أن نعد هذا الوجه الأول من وجوه الإعجاز فوق بلاغته وبيانه، والذي نراه جديراً بالقبول أن هذا الوجه ناشئ عن بلاغة القرآن وعلو شأنه، وبديع نظمه..."[311].

وجعل الدكتور خليفة العسال الإعجاز النفسي الوجه الخامس من وجوه الإعجاز، إلا أنه نص على عدم استقلاليته بقوله: "ومما هو جدير بالذكر أن هذا الوجه النفسي التأثيري من وجوه الإعجاز لا يقع مستقلاً بذاته، بل لا بد وأن يكون متصلاً بغيره من وجوه الإعجاز الأخرى، كما أنه لا خلاف في الواقع بين القائلين بهذا الوجه وبين غيرهم من أصحاب الوجوه الأخرى للإعجاز، فإن تذوق الإعجاز لا يمنع من بيان الوجوه التي فجّرت هذا التذوق"[312]، وقال في خاتمة كتابه: "إن التأثير النفسي للقرآن يتناول سائر المخلوقات، كما أنه لا يقع مستقلاً بذاته عن وجوه الإعجاز الأخرى لأن الوجوه كلها تذوقية تحرك المشاعر والوجدان وتؤثر في الأسماع"[313].

311- د. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص 348.

312- د. خليفة حسين العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص 36.

313- المرجع السابق نفسه، ص 62.

ومن العلماء الذين تعرضوا لذكر الإعجاز النفسي مَن لم يعن بتعداد وجوه الإعجاز أو تقسيمها، وقد يكون كلامه عن الإعجاز ضمن كلامه عن أمر آخر، أو أثناء حديثه عن القرآن بصورة عامة، فلا يمكن تحديد رأيه فيه بدقة، ويصعب تتبع مثل هذا الأقوال لتشتتها وتفرقها في العديد من الكتب مختلفة الموضوعات والتخصصات، ولعل في ما تم إيراده الكفاية والدلالة على غيره.

وبعد عرض هذه الآراء الثلاثة في موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز، يأتي دور محاولة التوفيق والجمع أو الترجيح بينها، بعد تقرير أن كل مجتهد في تبيين وجوه الإعجاز مأجور بإذن الله، وغاية الجميع إظهار عظمة هذا الكتاب المعجز، ومحاولة تجلية ما فيه من روائع وبدائع، وقد كان للعلماء مسلكان في عدد وجوه الإعجاز، فمنهم من ذهب إلى القول بحصر عدد وجوه الإعجاز في وجهين أو ثلاثة: الإعجاز البياني، أي بجميع ما يتعلق بلفظ القرآن ونظمه من مباحث، والإعجاز العلمي، أي بجميع ما فيه من علوم، وأخبار عن السابقين، وأمور مستقبلية، وحقائق علمية لم تكن معروفة، ومنه: التشريع[314]، وقد أفرده عدد من العلماء

314- ممن جعله تابعاً للإعجاز العلمي: محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، ص 92.

بالذكر فجعلوه الوجه الثالث[315]، ومنهم من مال إلى التفصيل وتعداد وجوه كثيرة للإعجاز، كما فعل القرطبي[316]، والزركشي والسيوطي، والزرقاني، وأحمد خلف الله[317]، والنورسي[318] ومن تبعهم.

ويرى الباحث تبعا لمعظم من تعرض للحديث عن الإعجاز النفسي أنه وجه مستقل من وجوه الإعجاز، وأنه يقع في موقع متميز بين وجوه الإعجاز، لأنه أمر يتعامل معه الجميع، ويتعرض له ولآثاره كل تال وسامع، ولو في فترة أو مرة، بخلاف بعض وجوه الإعجاز التي اختص بالتعامل بها عدد محدود، ولا يكاد يشعر بها كثير من

315- ممن جعله وجهاً مستقلاً: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص 79، ومناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص 262، ود. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن، ص 150، جامعة القدس المفتوحة.

316- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 1/73-75.

317- أضاف أحمد خلف الله إلى وجوه الإعجاز الخمسة والثلاثين التي ذكرها السيوطي، أربعين وجهاً أخرى، في كتابه: القرآن يتحدى، ذكر ذلك الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر في بحثه: إعجاز القرآن في فكر بديع الزمان النورسي، ص 350 من كتاب: المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي.

318- تعددت عبارات النورسي في عدد وجوه الإعجاز بين سبعة أوجه، أو أربعين وجهاً، أو مئتي وجه وأكثر، وقد بينت في بحثي: "آراء النورسي في وجوه الإعجاز" أن مراد النورسي بالأوجه السبعة: العامة أو الرئيسة، وبالوجوه الأربعين أو المئتين: الدقيقة أو الفرعية المندرجة تحت الأوجه العامة وضمنها (ص 302 من كتاب: المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي).

المتعاملين بالقرآن، وأنه وثيق الصلة بالإعجاز البياني، وثمرة من ثمراته الكثيرة.

من نتائج البحث

1- إن البحث في الإعجاز النفسي قديم، فقد تعرض له أوائل من ألف في الإعجاز أو كتب فيه، كالخطابي والقاضي عياض.

2- اختلفت عبارات الباحثين في التعبير عن الإعجاز النفسي بين: تأثير القرآن، وروعته، وهيبته، وسحر القرآن، والإعجاز الروحي، وغيرها من العبارات ذات المدلول المتقارب.

3- أدخل بعض الباحثين ضمن الإعجاز النفسي: حديث القرآن عن النفس الإنسانية وخفاياها، واقتصر بعضهم على التأثير العظيم للقرآن في نفوس سامعيه وقارئيه، وهو ما تم ترجيحه في البحث.

4- أدلة إثبات الإعجاز النفسي كثيرة ومتنوعة، وهي بحاجة إلى جمع وتتبع وتصنيف وتعليق، وتمييز بين الصحيح والضعيف.

5- الإعجاز النفسي أحد وجوه الإعجاز، وهو وثيق الصلة بالإعجاز البياني.

والله تعالى أعلى وأعلم، وله الحمد أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

تم بحمد الله

فهرس